

السُّنْنَةُ

وَمَكَانَتْهَا فِي التَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ

الإمام الأكبر

الدكتور عبد الحليم محمود  
شيخ الأزهر

منشورات المكتبة الفطرية  
صبرا - بيروت

اهداءات ٢٠٠٢

أ/حسين كامل السيد بك فهمي  
الاسكندرية

# السترة

ومكانتها في التشريع الإسلامي

تأليف

الدكتور عبدالحليم محمود

منشورات

المكتبة العصرية  
صَيْدَا - بَيْرُوت



## من مراجع الكتاب

- ١ - صحيح البخاري
- ٢ - صحيح مسلم
- ٣ - سيرة ابن هشام
- ٤ - رياض الصالحين
- الانوار المحمدية — للتبهاني
- ٦ - السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي : للمرحوم الاستاذ مصطفى السباعي ٠
- ٧ - السنة قبل التدوين — للأستاذ عجاج نويهض
- ٨ - الرسالة للإمام الشافعي
- ٩ - رجال الفكر والدعوة لابي الحسن الندوبي
- ١٠ - الرسالة المحمدية للسيد سليمان الندوبي
- ١١ - الحديث والمحدثون للشيخ محمد ابو زهو ٠



## مقدمة

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين  
يقول الله تعالى : من يطع الرسول فقد أطاع الله .  
ويقول سبحانه : وما آتاكم الرسول فخذلوه ، وما  
نهاكم عنه فاتهوا .  
ويقول : فلا ، وربك ، لا يؤمنون حتى يحكموك فيما  
شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ،  
ويسلموا تسلیما .

وفي حديث صحيح يقول المقدام بن معدي كرب :  
« حرم النبي صلى الله عليه وسلم أشياء يوم خير ، منها  
الحمار الاهلي وغيره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
يوشك ان يقعد الرجل منكم على اريكته ، يحدث بحديثي  
فيقول : يبني وبينكم كتاب الله ، فيما وجدنا فيه حلالا  
استحللناه ، وما وجدنا فيه حراما حرمناه . وأن ما حرم  
رسول الله كما حرم الله » .  
وبعد :

فيحب القراء عادة ان يعرفوا شيئا عن ظروف تأليف  
الكتب التي يقرءونها ، لأن ذلك يضعهم في جو يهدى لهم

تقدير الكتاب في صورة أعمق : حيث عرفوا الظروف والملابسات ، ولأن ذلك يقربهم من جو الكاتب النفسي ، ويخلهم ، نوعا ما ، في محيطه الخاص ، فتكون بينهم وبينه - على بعد - بعض اسباب الالفة . ومن اجل توضيح ذلك أكتب هذه المقدمة :

ان السنة : دعوة بالحسنى الى الرقي الاخلاقي الذي تجري وراءه الانسانية المهدبة ، انها دعوة الى التاجر ان يكون صادقا ، فيحشر مع النبىن والصديقين والشهداء ، والى العامل ان يتقن عمله ، لأن الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتفقنه .

والى الصانع ان يؤدي العمل كما يجب ، حيث اخذ الاجر ، ومن اخذ الاجر حاسبة الله على العمل .

وهي دعوة الى الاب ، باعتباره ابا ، والى الام في وضعها كأم ، والى الاخ في مهمته كأخ ، والى غيرهم من افراد المجتمع : أن يرعى كل منهم ما وكل اليه من امر رعيته وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .

وهي دعوة للناس الى الامانة ، حيث أنه لا ايمان لمن لا امانة له .

والى الصدق ، وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا .

والى الرحمة : الرحمة العامة الشاملة ، وصلوات الله وسلامه على من قال :

« انا انا رحمة مهداة » ٠

ومن قال : « ارحموا من في الارض ويرحمكم من في السماء » ٠

وخذ أي خلق كريم تمنى ان يسير عليه المجتمع :  
فستجد في السنة دعوة اليه ، بوسيلة او بأخرى ، وبثالثة ،  
وهي في هذه الدعوة تنبه دائما الى دور الامة الاسلامية  
في الاخلاق العالمية : أن دورها : انتا هو دور الرائدة  
الراعية وعلى الرائد دائمآ ان يكون المثل الاعلى ، والاسوة  
الكريمة ، والقدوة الصالحة ٠

ولقد كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : الصورة  
اللحية الناطقة التي طبقت كمبادئ انسانية ممكنة – الخلق  
الذى رسمه الله وأحبه للانسانية جموع ، والذى عبرت  
عنه السنة اجمل تعبير وأبلغه ٠

ومن اجل هذا التقدير الكريم للسنة الشريفة كان  
العلماء المستنيرون في كل عصر : يجاهدون من اجلها ،  
ومن اجل مكارم الاخلاق التي تعبّر عنها ، وكان هؤلاء  
العلماء – علماء السنة – يعرفون بسيماهم : فقد كانوا من  
الزهد في حطام الدنيا : بحيث لا ينزعون الناس في دنياهم :  
لقد كانوا مشغولين عن جمع المال بخدمة الدين ،  
وكانوا مشغولين عن الجاه بغير الحق الصالح الكريم ،  
وكانوا مشغولين عن السلطان بمن بيده السلطان يؤتى به  
من يشاء وينزعه من يشاء: مالك الملك ذي الجلال والاكرام ٠

وكانوا صادقين ، لقد كان الصدق دينهم وفطرتهم •  
وكانوا صابرين على الحياة ، وصابرين على العمل :  
لقد اقاموا نهارهم ، وأسهروا ليلهم عملا على مرضاة الله  
ورسوله صلى الله عليه وسلم •

والمثل الذي نحب أن نسوقه — كصورة لهؤلاء القوم  
— هو : الامام احمد بن حنبل ، رضي الله عنه ، انه المحدث  
الذي حاول ان يكون صورة صادقة لما كان عليه الرسول ،  
صلى الله عليه وسلم ، في الزاوية الاخلاقية •

وسيرة الامام ، رضوان الله عليه : مثل اعلى في  
التمسك بما يراه حقا ، وفي الصبر على ما يناله في سبيل  
التمسك بالحق •

على ان كل من تشبع بالسنة حقا : انما هو صورة ،  
قريبة بقدر المستطاع ، من الامام احمد •  
ولقد كان الامام البخاري وغيره من أشربت نقوتهم  
حب السنة : امثلة كريمة للخلق الكريم •

والامثلة الكريمة للخلق الكريم هدف دائم لسهام  
النماذج الائمة التي استهواها الشيطان في قليل او في كثير:  
انه النزاع الدائم بين الفضيلة واصحابها ، وبين المثلين  
لنزعات الهوى والضلال •

ولولا وجود هذه المثل العليا لمكارم الاخلاق في كل  
عصر لفقدت الانسانية الثقة بنفسها ، ولما اطمأن انسان  
لانسان ، ولما وثق شخص بأخر •

لقد رب السنة رجالا ، وخصائصها التي رب بها الرجال موجودة فيها ، لأنها من طبيعتها ومن ذاتها . ولقد شاهدت الإنسانية واعترفت بسمو هؤلاء الرجال ، وأولتهم ثقتها وتقديرها .

ان الإمام أحمد بن حنبل ، وان الإمام البخاري ، وان أمير المؤمنين في الحديث : الإمام سفيان الثوري ، وأمثال هؤلاء ، رضي الله عنهم : منارات يهتدى بهم عشاق المثل العليا الأخلاقية .

لا بد اذن من العمل على نشر السنة واداعتها ، ومحاولة الاكثار من النقوس التي تتشرب بها وتحقيقها وتمثلها وتحياها .

لا بد من نشرها وطنية .

ولا بد من نشرها انسانية ، لأنها تعبر عن ارقى مستوى انساني .

ولا بد من نشرها دينا .

ولا بد من نشرها ذوقا ادبيا .

ولا بد من نشرها للشروع اللغوية ..

وما من شك في ان للسنة جوا فكريا : فالرسول ، صلى الله عليه وسلم : يتحدث عن اصلاح المجتمع ، وعن عوامل الهدم ، التي تعمل على تقويضه ، وعن عوامل البناء التي تعمل على اقامته على قواعد سليمة ، ويتحدث عن

النظم التي ينبغي ان تسود المجتمع الانساني ، وعن الاوضاع  
التي يجب ان تستقيم ٠

وللسنة جو لغوي : فالرسول ، صلى الله عليه وسلم  
قد اوتى جوامع الكلم ، وكلامه ، صلى الله عليه وسلم  
البلغ الكلام البشري ، ونشر السنة عامل من اهم العوامل  
على ترقية اللغة التي يكتب بها الكتاب، وعلى وضع الناشئين  
والملتحقين في وضع ادبي ممتاز ، من حيث اللغة ، ومن حيث  
الاسلوب ٠

وللسنة جو روحي : انها تهذيب للنفس ، وتربيه للروح  
وسمو بالاخلاق الى درجة لا تجاري ، وصلى الله وسلم  
على من قال :

« انا بعثت لأنتم مكارم الاخلاق » ٠  
ورحم الله شوقي اذ يقول :

انما الامم الاخلاق ما بقيت فانهموا ذهبوا اخلاقهم ذهبا  
ومن اجل ذلك كله كان نشر السنة واجبا دينيا ،  
وعمرا اجتماعيا كريما ، وواجبا وطنيا حتىما ، واصلاحا  
اخلاقيا ساما ٠

وهو على كل حال ضرورة وطنية ملحة في عصر تحاول  
الرذيلة فيه ان تعمم الانحلال الخلقي في كل اسرة وفي كل  
بيت، ويحاول الفساد ان يأتي على مقدسات الامة ومقوماتها  
من عرض وشرف وكرامة ٠

لقد احب الله للانسانية مثلا اخلاقيا كريما رسمه  
سبحانه في القرآن الكريم قوله ، فكان رسول الله صلى  
الله عليه وسلم الصورة التطبيقية الكاملة للرسم الالهي ،  
وكان بذلك الانسان الكامل ٠

لقد كان المثل الاعلى في الرحمة ، والمثل الاعلى في  
الكافح والمثل الاعلى في الصبر المجاهد المتفائل ، والمثل  
الاعلى في الصدق ، في الاخلاص ، في الوفاء ، في البر ،  
في الكرم ٠

ولقد وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله :  
« وانك لعلى خلق عظيم » ٠

ولا ريب في ان الامة الاسلامية حينما تقتدي بالرسول  
صلى الله عليه وسلم : انما تقتدي بأعظم البشر رجولة  
وانسانية ٠

وتقىدي بمن احب الله سبحانه ان تقتدي به ٠  
« لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ، من كان  
يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا ٠ » ٠

وان العمل على نشر السنة انما هو توجيه للاقتداء  
بالرسول ، صلى الله عليه وسلم ٠  
والله ارجو ان يجعله عام النفع ٠  
وان يهدى به ٠

وان يجعله ذخيرة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من  
اعي الله بقلب سليم ٠



## الفصل الاول

### الرسول ﷺ و سنته الشريفة

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ٠

«ربنا آتنا من لدنك رحمة، وهيء لنا من امرنا رشدا»

«ربنا لا تزع قلوبنا بعد اذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك  
رحمة انك انت الوهاب » ٠

خاتم الانبياء :

يقول الله تعالى لرسوله الكريم، صلى الله عليه وسلم:

« وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » وما

كانت هذه الرسالة العامة لأحد من الرسل من قبله، فموسى  
عليه السلام أرسل لبني اسرائيل خاصة، لقد اقتصرت دعوته  
على بني اسرائيل ، لدرجة انه حينما ذهب هو وهارون ،  
عليهما السلام ، الى فرعون ، قالا له : « انا رسولا ربك ،  
فأرسل معنا بني اسرائيل » ٠

فموسى ذهب الى فرعون ليرسل معه بني اسرائيل ٠

ولم يكافح سيدنا موسى الشعوب ، أو الامم في سبيل  
دعوته ٠

وعيسى ، عليه السلام ، انما ارسل الى ٠٠ « خراف

بني اسرائيل الضالة » ، على حد تعبيرهم القديم ، ولم

يحاول سيدنا عيسى ان يبشر بدعوته خارج فلسطين ، ولم  
يحاول ان يجاهد من اجلها .

اما رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فانه ارسل  
الى الناس جميعا ، انه ارسل الى الناس جميعا من حيث  
المكان ، وارسل اليهم جميعا من حيث الزمان ، فهو الرسول  
ال دائم زمانا ومكانا .

« قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا » .  
وقد تكفل الله تعالى بحفظ الكتاب الذي أنزله على  
رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، ضمانا لهذا العموم في  
الزمان وفي المكان ، وتحقيقا له .

« انا نحن انزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

ومن اجل هذا الوعد بحفظ الوحي كاملا غير منقوص ،  
صحيحا غير مزييف ، كانت الحكمة الالهية في ان الانسانية  
لا تحتاج الى رسول بعد الرسول ، ولا الىنبي بعد النبي ،  
انه صلوات الله وسلامه عليه : خاتم الرسل ، وخاتم الانبياء .  
ولقد امترج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،  
برسالته الخالدة ، فكان هو هي شرحا وتفصيلا .  
وكانت هي هو بيانا لمعدنه وجواهره ، وخلافة له ،  
ونيابة عنه .

تقول السيدة عائشة ، رضي الله عنها : « لقد كان  
خلقه القرآن » وهذه الكلمة من السيدة عائشة ، رضوان الله  
عليها تحتاج الى تحديد وبيان . ذلك ان القرآن يحدد

الخلق الكريم في حده الأدنى ، ثم لا يفתר على ذلك ، وإنما يرسم القمم من مكارم الأخلاق ، ويوجه إلى السنام منها ، ويقود إلى المشرف العليا من درجات المقربين .  
فهل تريده السيدة عائشة ، رضوان الله عليها ، حينما تصفه ، صلى الله عليه وسلم ، بأن خلقه القرآن : هل تريده الخلق الكريم في حده الأدنى ، أم تريده في حده الأوسط ، أم تريده في حده الاسمي ؟

إن القرآن يحدد الدرجة التي وصل إليها الرسول ، صلى الله عليه وسلم من الخلق القرآني فيقول سبحانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « وإنك لعلى خلق عظيم » هذه الآية القرآنية الكريمة تحدد درجة الأخلاق القرآنية التي وصل إليها الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، أنها ذروتها وسنامها .

### أول المسلمين

ولقد قال صلوات الله وسلامه عليه :  
« إنما بعثت لأتمّ مكارم الأخلاق » .  
إنه صلى الله عليه وسلم ، بعث ليتمّ المكارم الأخلاقية ليتمّها بذاته ، بسلوكيه ، وليتسمّها بقوله : برسالته .  
إنه لم يبعث ليشرّر الأخلاق الكريمة فحسب ، وإنما بعث ليتمّ مكارمها .  
ومكارم الأخلاق لم تكن — قبل الرسول صلوات الله وسلامه عليه — قد تمت . إن أول المسلمين لم يكن قد

وَجَدَ بَعْدَ، وَكَانَتْ بِذَلِكَ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ نَاقِصَةً، كَانَ يَنْقُصُهَا أَكْمَلُ صَفَةِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَهِيَ اسْلَامُ الْوِجْهِ لِلَّهِ اسْلَاماً تَامًا • انَّ الْكَائِنَاتَ لَمْ تَكُنْ قَدْ وَصَلَتْ — لَا فِي نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، وَلَا فِي مَلِكٍ مُقْرَبٍ — إِلَى الْذِرْوَةِ مِنْ اسْلَامِ الْوِجْهِ لِلَّهِ ، وَالْذِرْوَةِ مِنْ اسْلَامِ الْوِجْهِ لِلَّهِ ، او اول المسلمين — وَالْتَّعْبِيرَانِ سَوَاءٌ — انَّمَا هُوَ الذِرْوَةُ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ •

اَنَّهُ الْكَائِنُ الرِّبَّانِيُّ : اَنَّهُ اولُ الْمُسْلِمِينَ ، او لَهُمْ بِاطْلَاقٍ، او لَهُمْ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَلَائِكَةِ ، وَاوْلَهُمْ بِالنِّسْبَةِ لِبَنِي آدَمَ ، او لَهُمْ قَدِيمًا ، وَاوْلَهُمْ إِلَى الْابَدِ • • اَنَّ اولَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَكُنْ قَدْ وَجَدَ بَعْدَ •

وَكَانَتِ الْإِنْسَانِيَّةُ بِذَلِكَ نَاقِصَةً ، وَكَانَتِ الْكَائِنَاتُ كُلُّهَا بِذَلِكَ نَاقِصَةً •

كَانَ الْكَوْنُ نَاقِصًا مَادَةً وَمَعْنَى ، كَانَ يَنْقُصُهُ اَنْ تَتَعَطَّرَ اَرْضُهُ بِأَزْكَى الْاجْسَادِ ، وَانْ يَتَعَطَّرَ جُوهَرُهُ بِأَزْكَى الْأَرْوَاحِ ، وَكَانَ لَا بُدَّ مِنْ وَجُودِ كَائِنٍ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ يُكَمِّلُ اللَّهَ بِهِ الدِّينِ، وَيُتَمِّمُ بِهِ النَّعْمَةِ ، وَيُرِضِّي رِسَالَتَهُ دِينًا عَامًا خَالِدًا لِلْإِنْسَانِيَّةِ جَمِيعَهُ : هُوَ اسْلَامُ الْوِجْهِ لِلَّهِ •

وَيَنْزُلُ الْقُرْآنُ مُحَدِّداً اسْلَامَ الْوِجْهِ لِلَّهِ وَسَائِلَ ، وَمُحَدِّداً اسْلَامَ الْوِجْهِ لِلَّهِ غَايَاتِ ، مُحَدِّداً اسْلَامَ الْوِجْهِ لِلَّهِ طَرَقاً وَاسْالِيبَ ، وَمُحَدِّداً لَهُ بُواعِثَ وَاهْدَافَا • وَمِنْ هَنَا كَانَ : مَنْ يَتَغَيِّرُ غَيْرَ اسْلَامِ دِينِنَا لَا يَقْبَلُ مِنْهُ • يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :

« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه »  
وكيف يقبل منه ما يتناهى مع اسلام الوجه لله ؟

ان اسلام الوجه لله هو الذروة من مكارم الاخلاق ،  
وهو جوهر التدين ، انه الدين القوي ، انه الدين الخالد .  
والنص الوحيد ، النص الالهي الفريد في العالم كله الذي  
يبين كيفية اسلام الوجه لله ، انما هو القرآن . وادا ما وصل  
الانسان الى اسلام الوجه لله كان بذلك في ذروة الانسانية .  
وفي الذروة من مكارم الاخلاق .

ويتفاوت الناس في اسلام وجوههم لله ، ولا بد من  
ان يكون احدهم اول المسلمين ، فكان رسول الله ، صلى  
الله عليه وسلم ، اولهم بطلاق مطلق .

« قل ان صلاتي ونسكي ، ومحياي ، ومماتي ، لله  
رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك امرت ، وانا اول  
المسلمين » .

ولم يصف القرآن بأول المسلمين شخصا آخر غير  
الرسول ، صلى الله عليه وسلم .

ومكارم الاخلاق لا يحدوها — من حيث التبشير بها —  
مكان ولا يحدوها زمان ، بل ولا يحدوها عالم من عوالم الله  
في الارض او السماء ، ومن اجل ذلك كانت رسالته ،  
صلوات الله عليه وسلم ، رحمة للعالمين .

من مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم عند ربه :  
ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم — لأنّه يمثل  
الأخلاق القرآنية في ذروتها وسماتها — جعل الله ، سبحانه  
وتعالى ، له مكانة خاصة بين المسلمين ، فهو ، صلوات الله  
وسلامه عليه — لأنّه تمثل القرآن وحققه ، وأصبح قرآنًا —  
أصبح بذلك يمثل الحق بقوله ، ويمثل الحق بعمله ، فلا  
ينطق عن الهوى ، ولا يعمل بالهوى ٠

يقول الله ، تبارك وتعالى له ، معبراً عن هذه الحقيقة  
اروع تعبير :

« وانك لتهدي الى صراط مستقيم ، صراط الله ٠٠٠ »  
ويقول تعالى لرسوله ، صلى الله عليه وسلم :  
« قل : انتي هداني رببي الى صراط مستقيم ، ديننا  
قيما ٠٠ ٠ »

بل ان طريق الدعوة نفسه ، كان ، صلوات الله وسلامه  
عليه ، يسير فيه معصوما ، وكل من يسير في الدعوة على  
نسقه ، انما يسير معصوما بعصمة الرسول ، صلى الله عليه  
وسلم ، التي منحها الله تعالى آيات :

« قل : هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن  
اتبعني ٠ ٠ ٠ »

ودعوته اذن وطريق دعوته : يسير فيهما على هدى ،

وعلى نور من ربه ، ولذلك فان : « من يطع الرسول ، فقد اطاع الله » ٠

فيقول سبحانه :

ويعمم الله ، سبحانه ، الحكم تعبيما ، ويطلقه اطلاقا ،

فيقول سبحانه :

« وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فاتهو»

ويقول تعالى : « وان تطيوه تهتدوا » ٠

« قل : ان كيتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ٠٠٠

ان حب العبد لله لا يفيد ما لم يتخذ العبد الوسيلة

الناجعة لذلك ، وهذه الوسيلة هي : اتباع رسول الله ،

صلى الله وسلم ٠

ولقد قال الله ، سبحانه وتعالى : في حديث قدسي ٤

رواه الامام البخاري: «من عادى لي وليا فقد آذته بانحرب»

وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته

كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده

التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وان سألهني أعطيته

ولئن استعاذني لأعيذنه » ٠

وهذه النوافل التي ذكرت في الحديث الشريف، والتي

اذا أكثر الانسان منها ، بعد أداء الفرائض ، أحبه الله : انما

هي سلوك رسول الله ، صلي الله عليه وسلم ، انها طريق

رسمه ، صلوات الله عليه وسلمه بقوله ويعمله ٠ انها

سننها ، صلوات الله وسلامه عليه ، التي سنها ، لينال  
الانسان بها محبة الله ، سبحانه .

(من مكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ربها ايضاً)

وأحب الله ، سبحانه ، رسوله ، صلى الله عليه وسلم  
وكان هذا الرسول بعبوديته لله سبحانه ، حبيب الله  
وببلغ الرسول ، صلوات الله عليه وسلم ، بعبوديته التامة  
درجه اول المسلمين ، كما سبق ان ذكرنا .

ولما كان اول المسلمين ، وكان حبيب الله ، ونبيه ،  
ورسوله : مizer الله ، سبحانه وتعالى على بقية البشر بكونه  
خيرهم ، وهذا البسيط لا يخرج عنه ، صلوات الله عليه وسلم  
عن البشرية : فهو بشر وهو خير البشر : ومنتهى القول  
فيه انه بشر — وانه خير خلق الله كلهم ، ولأنه خير البشر :  
يقول الله تعالى مخاطبا المؤمنين : « لا تجعلوا دعاء الرسول  
يُنكِّم كدعاء بعضاكم بعضا » .

ان الانسان الذي خصه الله بالوحسي ، واجتباه  
لرسالته ، واصطفاه ليكون — باسمه ، سبحانه — بشيرا  
ونذيرا ، ان هذا الانسان الذي فضل الله على العالمين :  
يجب ان نعرف له مكانته وتنزله في الشرف الذي أنزله الله  
فيه ، ان هذا السراج المنير ، ان هذا الرءوف الرحيم : ينبغي  
الا يدعى كما يدعى زيد وعمرو : « بمعنى لا تنادوه باسمه :

فتقولوا : يا محمد ، ولا يكفيته فتقولوا : يا ابا القاسم ،  
بل نادوه وخطبواه بالتعظيم ، والتكرير ، والتوقير بـأأن تقولوا :  
يا رسول الله ، يا نبـي الله ، يا امام المرسلين ، يا رسول رب  
العالـمين ، يا خاتـم النبـيين وغير ذلك ٠٠

واستنـيد من هذه الآية — كما يقول الشـيخ الصـاوي  
في حاشـيـته على تفسـير الجـلـائـين — انه لا يجوز نداء النبي  
بغـير ما يـفـيد التـعـظـيم ، لا في حـيـاته ، ولا بـعـد وفـاته ، فـبهـذا  
يـعـلم انـ منـ استـخـفـ بـجـنـابـه ، صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : فـهـوـ  
كـافـرـ مـلـعونـ فيـ الدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ » إـ هـ

ويـقـولـ اللهـ سـبـحـانـهـ فـيـ أـوـائلـ سـوـرـةـ الـحـجـرـاتـ : «ـ يـاـ  
أـيـهـ الـذـيـنـ آـمـنـواـ لـاـ تـقـدـمـواـ بـيـنـ يـدـيـ اللهـ وـرـسـوـلـهـ »ـ أـيـ لـاـ  
تـقـدـمـواـ بـأـمـرـ مـنـ الـأـمـورـ ، قـوـلاـ كـانـ اوـ فـعـلاـ ، لـاـ اـذـنـ  
الـلـهـ وـرـسـوـلـهـ ، وـكـلـ اـمـرـ : قـوـلاـ كـانـ اوـ فـعـلاـ : أـتـاهـ الـأـنـسـانـ  
بـدـوـنـ اـذـنـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ : فـانـهـ لـاـ يـقـعـ عـلـىـ السـنـنـ الـمـسـتـقـيمـ ٠  
يـقـولـ الضـحـاكـ عنـ ذـلـكـ : هـوـ عـامـ فـيـ الـقـتـالـ وـشـرـائـعـ  
الـدـيـنـ ، أـيـ لـاـ تـقـطـعـوـ اـمـرـاـ دـوـنـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ »ـ وـاتـقـواـ اللـهـ  
اـنـ اللـهـ سـمـيـعـ عـلـيـمـ ٠

«ـ يـاـ اـيـهـ الـذـيـنـ آـمـنـواـ لـاـ تـرـفـعـوـ اـصـوـاتـكـمـ فـوـقـ صـوتـ  
الـنـبـيـ ، وـلـاـ تـجـهـرـواـ لـهـ بـالـقـوـلـ كـجـهـرـ بـعـضـكـمـ لـبعـضـ »ـ ٠  
واـحـذـرـواـ اـنـ فـعـلـتـمـ ذـلـكـ : «ـ أـنـ تـجـبـطـ اـعـمـالـكـمـ وـاتـمـ  
لـاـ تـشـعـرـونـ »ـ ٠

« ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله ، او لئن  
الذين امتحن الله قلوبهم للتفوى ، لهم مغفرة واجر عظيم »  
اما هؤلا الذين أساءوا الادب دون ان يقصدوا فأخذوا  
ينادونك من وراء الحجرات مناداة الاعراب الاجلاف ، فان  
عقولهم — في الغلب الاعم — ناقصة : « ان الذين ينادونك  
من وراء الحجرات اكثراهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى  
تخرج اليهم لكان خيرا لهم ، والله غفور رحيم » ٠

على ان مجرد الرغبة في الحديث ، الى رسول الله ،  
صلى الله عليه وسلم ، يحتاج تنفيذها الى تقديم صدقة ،  
يقول الله تعالى في سورة المجادلة ٠

« يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين  
يدي نجواتكم صدقة ، ذلك خير لكم ، وأطهر ، فان لم  
تجدوا فان الله غفور رحيم » ٠

وتدل الآية الكريمة على ان ترك تقديم الصدقة اثم ،  
لأن من لم يجد الصدقة فان موقف الله سبحانه منه — لعدم  
قدرته — المغفرة والرحمة ، ولا تكون المغفرة والرحمة الا  
على اثم اتاه الانسان ٠

وعدم توفر الاستطاعة سبب في مغفرة الله سبحانه :  
« أشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواتكم صدقات » ٠  
واما حملكم خوف الفقر على الا تفعلوا ، واذا قادكم  
الضعف الانساني الى الا تنفذوا ذلك؛ ثم ندمتم واستغفرتم

فتدار كوه حتى يتوب الله عليكم ، وأثبتو حسن نيتكم ،  
وصفاء سريرتكم ، بأن تقيموا الصلاة على الوجه الاكمل ،  
وتؤتوا الزكاة طيبة بها نقوسكم ، وتطيعوا الله ورسوله في  
الصغير والكبير ، وما من ريب في أن الله ، سبحانه : خبير  
 بكل ما تعلمون .

يقول تعالى : « أَشْفَقْتُمْ أَنْ تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدِي نَجْوَاكُمْ  
صَدَقَاتٍ ، فَإِذَا لَمْ تَفْعُلُوا ، وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ  
وَآتُوا الزَّكَاةَ ، وَاطِّعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ »  
وبعد : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّا  
سَيِّدُونَا وَلَدَ آدَمَ وَلَا فَخْرٌ » .

ويقول الله تعالى :

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا  
وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ ، وَسَرَاجًا مُنِيرًا ، وَبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ  
لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا » .

هذا جانب من مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم  
التي احبها الله له ، والثي نبه عليها سبحانه في كتابه العزيز .  
وجانب آخر أحبه الله تعالى لرسوله نريد ان نبيه :  
وهو ان الله ، سبحانه وتعالى ، قد فرض طاعة رسوله ،  
صلى الله عليه وسلم ، مقرونة بطاعته . بل لقد ذكرها  
الله سبحانه وتعالى وحدها ، باعتبارها فرضا .  
ويقول الله تعالى : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا

قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ،  
ومن يعص الله ورسوله ، فقد ضل ضلالا مبينا » ٠

ويقول تعالى : « يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله  
ولرسول اذا دعاكم لما يحييكم » ٠

ويقول سبحانه : « قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول ،  
فان تولوا ، فان الله لا يحب الكافرين » ٠

وفي هذه الآية الكريمة اشارة الى ان الاعراض عن  
طاعة الله او عن طاعة الرسول : كفر ٠ وما من شك في انه  
كفر ، ذلك ان الايمان من اركانه : الايمان برسول الله ،  
صلى الله عليه وسلم ، وبأن كل ما اؤتى به صدق ، فالتحول  
عنه : استخفافا ، او جحودا وانكارا ، او عنادا ومماراة ٠  
ذلك كله : كفر يخرج به المعرض عن دائرة الاسلام ٠

يقول الله تعالى في طاعة الرسول ، صلوات الله  
وسلامه عليه ، حينما يفرده بالحديث :

فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ،  
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما»

ويقول تعالى : فليحذر الذين يخالفون عن امره ان  
تصيبهم فتنة ، او يصيبهم عذابا باليم » ٠

ويجعل سبحانه وتعالى ، طاعة الرسول صلى الله عليه  
وسلم طاغته فيقول سبحانه :

« ومن يطع الرسول فقد اطاع الله » ٠

ويجعل بيته صلوات الله وسلامه عليه بيعة لله ،  
فيقول سبحانه :

« ان الذين يباعونك انما يباعون الله ، يد الله فوق  
ايديهم ، فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن اوفى بما  
عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرًا عظيمًا » ٠

وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هي فيما  
افترضه الله ، سبحانه او سنة ، وفيما افترضه رسوله  
صلوات الله وسلامه عليه او سنة ٠

وقد تابع الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، القرآن  
الكريم في بيانه لمنزلة السنة ٠ ووجوب اتباعه ، صلى الله  
عليه وسلم ، فيما سنّه ، فلقد حث فيما رواه ابو داود  
والترمذی عن زید بن ثابت : « نظر الله وجه امری » سمع  
مقالاتي فحفظها ووعاها ، فأداتها كما سمعها ، فرب مبلغ  
أوعى من سامع » ٠

وروى في معناه من طريق آخر :  
« رحم الله امرءاً سمع مقالتي فأدتها كما سمعها ،  
فرب مبلغ أوعى من سامع » ٠

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر الصحابة  
ان يبلغ الشاهد منهم الغائب فيقول فيما رواه ابو بكر :  
« ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » ٠

ان يبلغ الشاهد الغائب » ٠  
ولقد روى الحاكم والبيهقي ان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال :

« تركت فيكم امرئين لن تضلوا ما تمسكتم بهما ،  
كتاب الله ، وستني » ٠

ويقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم في خطبة  
الوداع :

« ان الشيطان قد يئس ان يبعد بأرضكم ، ولكن  
رضي ان يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من اعمالكم  
فاحذروا ، اني تركت فيكم ما ان اعتصمت به لن تضلوا  
ابدا : كتاب الله وستني » ٠

ويبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه  
البخاري عن ابي هريرة ان المسلمين سيدخلون الجنة الا  
من لا يرغب منهم في ذلك ٠

يقول صلى الله عليه وسلم : « كل امتی يدخل الجنة  
الا من أبى » قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال : « من  
اطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد ابى » ٠

### مكانة السنة من القرآن

وسنة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لها  
مكانتها بالنسبة الى القرآن ولها مكانتها بالنسبة الى  
التشريع ٠

انها المصدر الثاني - بعد القرآن - للإسلام ، انها  
المصدر الثاني للإسلام باعتباره عقيدة ، والمصدر الثاني

للاسلام باعتباره تشريعا ، والمصدر الثاني للإسلام باعتباره  
اخلاقا .

اما منزلتها بالنسبة الى القرآن فانها ، حسبما يقول  
الامام الشافعي : « وسنن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم  
مع كتاب الله وجهان :

احدهما : نص كتاب فاتبعه رسول الله كما انزل الله .  
والآخر : جملة بين رسول الله فيها عن الله معنى ما  
اراد بالجملة ، واوضح كيف فرضها عاما ، او خاصا ،  
وكيف اراد ان يأتي به اتباعه . وكلاهما اتبع فيه كتاب  
الله .

وفي كلامة اخرى يبين الامام الشافعي الوجهين فيقول :  
« أحدهما ما انزل الله فيه نص كتاب ، وبين رسول الله  
مثل ما نص الكتاب . والآخر: مما انزل الله فيه جملة كتاب ،  
بين رسول الله معنى ما اراد » وهذان الوجهان لم يختلف  
فيهما احد من الفقهاء ولا من المحدثين، يقول الامام الشافعي  
« وهذان الوجهان اللذان لم يختلف فيهما » .  
والوجه الاول بينه بنفسه .

انه من الواضح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
كان يبين القرآن عقيدة ، وشريعة واخلاقا على وجوه متى ،  
وعلى اتجاه مختلفة ، وعلى اساليب تختلف في الايصال  
والاسهاب ، بحسب حالة المخاطب ، يقول الله تعالى :  
« وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » .

والرسول صلى الله عليه وسلم كان يبين للناس ماتزل اليهم بسلوکه . وبقوله . وبافرااته ، يقول ، صلوات الله عليه وسلامه : « ما نرکت شيئاً مما امركم الله به الا وقد امرتكم به . ولا نرکت شيئاً مما نهاكم الله عنه الا وقد نهيتكم عنه » ٠

ولكن بيان رسول الله . صلى الله عليه وسلم ، كان يشتمل ايضاً على بيان ما اجمل في كتاب الله ، وهذا الوجه كثير في السنة ٠

يقول الامام الشافعي . رضي الله عنه ، قال تبارك ونعالي :

« ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ٠

وقال : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكآن ٠

وقال : « وأتموا الحج ، والعمرة لله ٠

ثم يبين على لسان رسوله عدد ما فرض من الصلوات ، ومواعيدها ، وسننها ، وعدد ركعاتها ، والزكاة ومواعيدها . وكيف عمل الحج والعمرة ، وحيث يزول هذا ويثبت ، وتحتفل سنته وتتفق ، ولهذا اشباه كثيرة في القرآن والسنة » إ هـ ٠

وقد كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يبين كيفية الصلاة بقوله وعمله ، كان يبين اوقاتها ، واركانها ، وعدد ركعاتها ، وافتتاحها وترتيب حركتها بعد الافتتاح ويقول صلى الله عليه وسلم : « صلوا كما رأيتوني اصلي »

ويبيّن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مناسك  
الحج : اركانه ، وواجباته ، وسننته ٠ ويقول : « خذوا عني  
مناسككم » ٠

وفرض الله ، سبحانه وتعالي ، الزكاة ولم يبيّن مقدارها ،  
لها ، لم يذكر بالتفصيل الزروع والثمار والاموال التي  
تُجَبُ فيها الزكاة فيبيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك  
كله وطبقه ٠

ولقد بيّنت السنة ان القاتل لا يرث ، وان الوصيّة  
لا تكون في اكثر من الثالث ، وان الدين يقدم على الوصيّة ،  
هذا وكثير غيره مما بيّنته السنة ٠

عن عمران بن حصين ، رضي الله عنه : انه قال لرجل  
يريد ان يقتصر على القرآن دون السنة : أنك امرؤ احمق ،  
أتتجد في كتاب الله الظاهر اربعا لا يجهر فيها بالقراءة ، ثم  
عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا ٠ ثم قال : أتتجد ذلك  
في كتاب الله مفسرا ؟ ان كتاب الله ابهم هذا ، قال والسنة  
تفسر ذلك ٠

ولقد قيل لمطرف بن عبد الله بن الشخير : لا تحدثونا  
 الا بالقرآن ٠

فقال : والله ما نبغي بالقرآن بدلًا ، ولكن نريد من  
هو أعلم منا بالقرآن ٠

ويقول الإمام الشافعي رضي الله عنه : « ومن قبل عن  
رسول الله فعن الله قبل ، لما افترض الله من طاعته » ٠

## مكانة السنة من التشريع :

ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم : يشرع - عن الله تعالى - فيما لا نص فيه من كتاب الله .  
روى الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذى وغيرهم:  
أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بعث معاذ بن جبل ،  
رضي الله عنه إلى اليمين فقال له :

« كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ »

قال : أقضى بكتاب الله .

قال « فان لم يكن في كتاب الله؟ »

قال : فبسنة رسول الله .

قال : « فان لم يكن في سنة رسول الله؟ »

قال : اجتهد رأيي ولا آلو .

فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدره  
وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي  
رسول الله » .

وسيدنا عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه في رسالته  
في القضاء إلى أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنه والتي  
بدأها بقوله : « سلام عليك ، أما بعد فان القضاء فريضة  
محكمة ، وسنة متبعة » .

يقول سيدنا عمر في هذه الرسالة : « الفهم الفهم فيما  
تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة » .

فجعل سيدنا عمر السنة مصدرا من مصادر التشريع ،  
ولقد سئل سيدنا ابو بكر ، رضي الله عنه ، عن  
ميراث الجدة فقال : « ما لك في كتاب الله من شيء ولكن  
أسأل الناس » ، فسألهم ، فقام المغيرة بن شعبة ، و Mohammad bin  
مسلم ، فشهادا : إن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، اعطاهما  
السدس .

ولم يكن سيدنا عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه  
يعلم سنة الاستئذان حتى اخبره بها ابو موسى رضي الله  
عنه (١) .

ولم يكن يعلم ان المرأة ترث من ديته زوجها حتى كتب  
اليه الضحاك بن سفيان ، امير رسول الله ، صلى الله عليه  
وسلم ، على بعض البوادي يخبره ان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم  
عليه وسلام : « ورث امرأة أشيم الضبابي من ديته  
زوجها » .

ولم يكن يعلم حكم المجروس في الجزية حتى اخبره  
عبدالرحمن بن عوف : ان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم  
قال : سنوا بهم سنة اهل الكتاب » .

ولما قدم « سرغ » وبلغه ان الطاعون بالشام ، استشار  
المهاجرين الاولين الذين معه ، ثم الانصار ، ثم مسلمة الفتح  
فشار كل عليه بما رأى ، ولم يخبره احد بسنة ، حتى قدم

---

(١) فبين له ان الاستئذان ثلاث ، فإذا لم يؤذن له انصرف .

عبد الرحمن بن عوف ، فأخبره بسنة ، رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في الطاعون وانه قال : « اذا وقع بأرض واتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ، واذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه » ٠

وهذا عثمان ، رضي الله عنه ، لم يكن عنده علم بأن المتوفي عنها زوجها تعتد في بيت زوجها ، حتى حدثته الفريعة بنت مالك ، اخت ابي سعيد الخدري بقضيتها لما توفي زوجها ، وان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال لها : « امسكي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله » فأخذت به عثمان ٠

ولقد روى الحاكم ما يلي :

« حرم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، اشياء يوم خير منها الحمار الاهلي ، وغيره » ٠

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك ان يقعد الرجل منكم على اريكته ، فيحدث بحذيري ، فيقول : يبني وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه ، وما وجدنا فيه حراما حرمناه ٠ وان ما حرم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم كما حرم الله » ٠

ويقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه ابو داود عن عبيد الله بن ابي رافع عن ابيه : « لا ألفين احدكم متکئا على اريكته يأتيه الامر من امري ، مما امرت

به ، او نهيت عنه فيقول : لا ادرى ، ما وجدنا في كتاب الله  
ابعناء » ٠

روى ابو داود والترمذى وابن ماجة عن المقدام بن  
معد يكرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« ألا اني اوتت القرآن ومثله معه ، الا يوشك رجل  
سبعين على اريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم  
فيه من حلال فاحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ،  
ألا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم  
الله » ٠

وعن حسان بن عطية انه قال : « كان جبريل ، عليه  
السلام ، ينزل على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،  
بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن ، ويعلمه ايها كما يعلمه  
القرآن » ٠

وعن مكحول قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه  
وسلم : « آتاكم الله القرآن ومن الحكمة مثيله » أخرجهما  
ابو داود في مراسيله ٠

وقيل لمطرف بن عبد الله بن الشخير : لا تحدثونا الا  
بالقرآن — فقال ، والله ما نبغى بالقرآن بدلًا ، ولكن فريد من  
هو اعلم منا بالقرآن ٠

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « لعن الله  
الواشمات ، والمستوشمات ، والمتمنصات والمتفلجات للحسن  
المغيرات خلق الله » ، فبلغ ذلك امرأة منبني اسد ، فقالت :  
الستة

يا ابا عبد الرحمن بلعنتي اناك لعنت كيت، وكيف ف قال «ومالي  
لا أعن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في  
كتاب الله» ، فقالت المرأة : لقد قرأت ما بين لوحى المصحف  
فما وجدته ، فقال لئن كنت قرأت فقد وجدته . أما قرأت :  
« وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » ؟  
قالت : بلى ، قال : فإنه قد نهى عنه رسول الله ، صلى الله  
عليه وسلم .

وبعد ان يذكر الامام الشافعي الوجوه الثلاثة :

١ - بيان السنة للكتاب على ما في الكتاب .

٢ - بيان السنة لمجمل الكتاب .

٣ - ما بين رسول الله فيما ليس فيه نص كتاب .

يقول : وذلك ما نريد ان ننتهي اليه ، وهو بين في  
وضوح من كل ما ذكرنا - وأي هذا كان ، فقد بين الله  
انه فرض فيه طاعة رسوله ، ولم يجعل لأحد من خلقه  
عذرا بخلاف امر عرفه من امر رسول الله ، وان قد جعل  
الله بالناس كلهم الحاجة اليه في دينهم ، واقام عليهم حجته  
بما دلهم عليه من سنن رسول الله معاني ما اراد الله بفرازضه  
في كتابه ، ليعلم من عرف منها ما وصفنا : ان سنته  
صلى الله عليه وسلم ، اذ كانت سنة مبينة عن الله معنى  
ما اراد من مفروضة فيما فيه كتاب يتلوه ، وفيما ليس فيه  
نص كتاب آخر : - فهي كذلك اين كانت ، لا يختلف حكم  
الله ثم حكم رسوله ، بل هو لازم بكل حال .

## الفصل الثاني

### تدوين السنة

بدأ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في العهد المكي يبشر بالقرآن الكريم ، ورسالة التوحيد سرا ثم جهرا ، وكان الرسول، صلى الله عليه وسلم، ينقي بالآضواء نلها على القرآن :

- ١ - ذلك أن القرآن كلام الله، سبحانه وتعالى، وهو بأسلوبه معجز ، وهو بمعناه يأخذ بالافتئدة ، وهو بعظاته يملك القلوب ، وهو بمنطقه يسيطر على العقول .
- ٢ - ثم ان موضوع القرآن في هذه الفترة كان موضوعا محددا : لقد كان جملة من القضايا تتصل بالغيب، الغيب الالهي ، او - بتعبير آخر - توضح العقيدة .  
توحيدا ، ورسالة ، وبعثا .  
وكان اسلوب القرآن في ذلك واضح لا لبس فيه ، مبينا بيانا سافرا .
- ٣ - وخشي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ان يضيق بعض الناس شيئا من كلامه الى القرآن ويخلطوه به ، وربما اسرفوا في هذه الاضافة : فلا يستبين الناس الفوائل والفرق بين الاسلوب القرآني الالهي، والاسلوب

النبيي ، حينما يتلو نهما ، في اول العهد بالاسلام ، ممتنع بينهما  
لتمييز بينهما .

ان معالم الاسلوب القرآني واضحة ، وكلام الله ،  
سبحانه اينما كان يتميز بصفات تجعله يسمى بمعزل من غيره  
ولكن لا بد من ايجاد الفرصة الكافية لترتسم هذه  
المعالم في النفوس: أي لا بد من تقديم القرآن خالصا صافيا  
لا يمتزج به غيره .

لا بد من تقديميه كما انزل في ثوبه الالي البحث حتى  
تصبح المعالم معالم الاعجاز المعجز ، بينة سافرة .  
من اجل ذلك نهى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،  
عن كتابة حديثه ، صلوات الله وسلامه عليه .

٤ - على ان هذه الآيات القرآنية ، في العهد المكي ،  
وهي تشرح التوحيد : توحيد الله في الذات ، وتوحيد الله  
في الصفات ، انها وهي تشرح المهيمنة الاليمية على الكون ،  
على العوالم : جميع العوالم ، ليست : في حاجة الى بيان  
اووضح او الى تعبير اقوى .  
بل انه لا يتأنى ان يكون هناك بيان اووضح او تعبير  
اقوى .

انها وهي تهدم الشرك ، وتدرك حضوره ، فتقول مثلا:  
« قل : الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى » اللهم خير  
اما يشركون ؟ فمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من  
السماء ما ء فأبنتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان

تبتو شجرها ، إله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون » :  
أمن جعل الأرض قرارا ، وجعل خلالها انها ،  
وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا ، إله مع الله ؟  
بل أكثرهم لا يعلمون ٠

أمن يجيب المضطرب اذا دعاه، ويكشف السوء، ويجعلكم  
خلفاء الأرض ، إله مع الله ؟ قليلا ما تذكرون ٠  
أمن يهدىكم في ظلمات البر والبحر ، ومن يرسل  
الرياح بشرا بين يدي رحمته ، إله مع الله ؟ تعالى الله عما  
يشركون ٠

أمن يبدوا الخلق ثم يعيده ، ومن يرزقكم من السماء  
والارض ، إله مع الله ؟!

قل : هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » ٠  
انها ، حينما تقول ذلك ، لا تحتاج الى شرح او تفسير  
وهي ، حينما تتحدث عن البعث فتقول : « وتفتح في  
الصور ، فصعق من في السموات ومن في الأرض الا من شاء  
الله ، ثم تفتح فيه اخرى ، فاذا هم قيام ينظرون ، واشرقت  
الارض بنور ربها ، ووضع الكتاب ، وجيء بالنبيين  
والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ، ووفيت كل  
نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون » ٠  
ليست بحاجة الى شرح او تفسير ٠

وهي : حينما تتحدث عن الرسول صلى الله عليه  
 وسلم ، ونزول القرآن عليه فتقول :

« نزل به الروح الامين ، على قلبك لتكون من  
المنذرين ، بلسان عربي مبين » ليست بحاجة الى شرح او  
تفسير ◦

ثم هي ، حينما تقول ترغيبا وتبشيرا :

« ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون » ◦

هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكتئون ◦

لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ◦

سلام قولنا من رب رحيم » ◦

ليست بحاجة الى شرح او تفسير ◦

وحيينا تقول موعظة وانذار :

« ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون » ◦

حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم

وجلودهم بما كانوا يعملون ◦

وقالوا لجلودهم : لم شهدتم علينا ؟ قالوا : أنطقنا

الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون

: وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا

ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظنتم : ان الله لا يعلم كثيرا

مما تفعلون ◦

وذلكم ظنكم الذي ظننتم . بربكم ارداكم فأصبحتم

من الخاسرين ، فان يصبروا فالنار مثوى لهم ، وان يستع膘وا

فما هم من المغتدين » ليست بحاجة الى شرح او تفسير ◦

٥ - ثم ان الموضوعات التي تتحدث فيها هذه الآيات

الملکية : موضوعات غبية ، والمواضيعات الغبية دقیقة وغاية  
في الدقة ، فهل اذا تحدث الرسول صلی الله عليه وسلم .  
في هذه الموضوعات ، ونقل عنه هؤلاء شفهيا - وهم حديثو  
عهد بالاسلام وقريبو عهد بالجاهلية الوثنية . . . هنالك  
مليحشون التعبير عنها او سيقولونها كما تحدث بها الرسول  
صلی الله عليه وسلم ، في دقته الدقيقة ، وفهمه الواعي عن  
الله ، سبحانه وتعالى ؟

من اجل كل ذلك ، امر رسول الله ، صلی الله عليه  
وسلم . الا يكتب عنه غير القرآن .  
وحكمه هذا الامر وتعليمه : واضح كل الوضوح مما  
ذكرنا .

ولكن في فترة العهد المدیني تغير الوضع :  
ها هو ذا الاسلام يتشر انتشارا واسعا وسريعا : وها  
هي ذي الامة الاسلامية الناشئة المؤمنة القوية : تبعث الامل  
واسعا في ان دین الله سينتشر في الآفاق ، وسيعم نوره  
الاقطار ، وستتحطم كلمة الحق صروح الباطل ، وسيتم الله  
نوره ولو كره المشركون ، وسيعم للألوه رغسم انوف  
الكافرين .

ومن اجل هذه الامة بدأ الوحي ينزل ارسالا ، ارسالا  
بالتشرع في جميع الوانه : تشريع دولي ، وتشريع جنائي ،  
وتشريع مدنی ، وتشريع للعبادة ، وتشريع للأحوال  
الشخصية .

لقد بدأ التشريع الالهي ينظم حياة الفرد : عبادة ومعاملة : حياته مع نفسه ، وحياته مع امته ، وحياته مع الله تعالى .

لقد أخذ ينظم حياة الانسان منذ ان يستيقظ في الصباح الى ان ينتهي به الامر الى الصحو من جديد في صباح تال .

وينظم حياته من اسبوع الى اسبوع ، ومن شهر الى شهر ، ومن عام الى عام .  
وينظم حياته في ذاته ، وينظم حياته في اسرته ، وينظم حياته في مجتمعه .

وينظم حياة المجتمع الاسلامي كله في الكون كله .  
وما كان يتأنى ان يتعرض الوحي في ذلك للتفصيلات المفصلة ، ولا للجزئيات الجزئية التي لا تحد ولا تحصى ،  
ولكنه كان يفصل تفصيلا يشبه ان يكون تاما في الامور التي تكون عادة مثار النزاع ، وخصوصا الماليات : كالميراث وكتابه الدين مثلا .

ويضع قواعد عامة شاملة تتضمن الجزئيات المتعددة ،  
في موضوعات اخرى وكان لا بد من ان يستفيض الرسول صلى الله عليه وسلم في البيان والشرح والتفسير .  
وكان المسلمون قد ألقوا الجو الاسلامي ، وألفوا الاسلوب القرآني ، عرفوا مفهوم الشرك ومفهوم التوحيد ، وتبيّنت لهم الفروق الفاصلة بين العلم والجهل ، وبين الاسلام

والجهالية ، وبين توجيه الوجه للذى فطر السموات والارض  
وتوجيهه للاصنام او الشهوات او الله ، ولم يكن هناك  
من خوف على خلط اسلوب القرآن الكريم بغيره ٠

وكان لا بد من تقدير شروح الرسول ، صلى الله  
عليه وسلم ، وتفسيراته ٠ لم تكن هناك ظروف توجب عدم  
كتابة الحديث ، وكانت هناك ظروف توجب كتابته ٠  
ومن أجل ذلك اباح الرسول ، صلى الله عليه وسلم ،  
كتابته بعد أن كان قد نهى عنها ٠

وببدأ الصحابة ، رضوان الله عليهم ، يكتبون ٠  
روى الإمام البخاري ، في كتاب العلم ، باب كتابة  
العلم قال :

« حدثنا محمد بن سلام ، قال : أخبرنا وكيع عن  
سفيان عن مطرف عن الشعبي ، عن أبي جحيفة ، قال : قلت  
لعلي : هل عندكم كتاب ؟  
قال : لا ، الا كتاب الله ، او فهم أعطيه رجل مسلم ، او  
ما في هذه الصحيفة ٠ »

قلت : فما في هذه الصحيفة ؟

قال : العقل ، وفكاك الاسير ، ولا يقتل مسلم بكافر ٠  
ويروي الإمام البخاري :

حدثنا أبو نعيم : الفضل بن دكين ، قال : حدثنا شيبان  
عن يحيى عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة :  
ان خزاعة قتلوا رجلا منبني ليث ، عام فتح مكة

بقتيل منهم قتلواه ، فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ،  
فركب راحلته ، فخطب فقال :

« إن الله جلس عن مكة القتل ، لو الغيل : شك ابو عبد الله ، وسلط عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، ألا وانها لم تحل لأحد قبلي ولم تحل لأحد بعدي ، ألا وانها حلت لي ساعة من نهار ألا وانها ساعتي هذه حرام ، لا يختلي شوكتها ، ولا يغض شجرها ، ولا تلقط ساقطتها الا لمنشد ، فمن قتل فهو بخير النظرين : اما ان يعقل واما ان يقاد اهل القتيل . »

فجاء رجل من اهل اليمين ، فقال : أكتب لي يا رسول الله .

قال أكتبوا لأبي فلان .

قال رجل من قريش : الا الاذخر ، يا رسول الله ،  
فانا نجعله في بيوتنا وقبورنا .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : الا الاذخر ، الا الاذخر .

قال ابو عبد الله : يقال : يقاد ، بالقاف .

فقيل : لأبي عبد الله : أي شيء كتب له ؟

قال : كتب له هذه الخطبة .

ويقول البخاري :

حدثنا علي بن عبد الله ، قال حدثنا سفيان ، قال ،  
حدثنا عمرو ، قال اخبرني وهب بن منبه ، عن اخيه قال :

سمعت ابا هريرة يقول : ما من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، أحد اكثرا حديثا عنه مني الا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فانه كان يكتب ولا اكتب ٠ تابعه معمر ، عن همام ، عن ابي هريرة » انتهى عن البخاري ٠

ولقد اشتهرت كتابة عبد الله بن عمرو لكل ما يصدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى لقد نوّقش في ذلك من بعض القرشيين: يقول رضي الله عنه حبيبنا ميروي في سنن الدارمي وغيره كنت اكتب كل شيء اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أريد حفظه ، فنهى قريش ، وقالوا : تكتب كل شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر ، يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأوّلما باصبعه إلى فيه ، وقال : اكتب ٠ فوالذي نفسي بيده ما خرج منه الا حق ٠

وروى عن ابي هريرة — كما يذكر الترمذى — اذ رجلا من الانصار كان يشهد حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فلا يحفظه ، فيسأل ابا هريرة ، فيحدثه ، ثم شكى قلة حفظه الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : استعن على حفظك بيمنيك اي بالكتابة ٠

وروى عن رافع بن خديج ، كما يذكر في كتاب : « تقييد العلم » انه قال : — قلنا يا رسول الله ، انا نسمع

منك اشياء ، أفنكتبها ؟ قال : « أكتبوا ولا حرج » .  
على انه قد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
انه كتب كتاب الصدقات والديات ، والفرائض ، والسنن ،  
لعم بن حزم وغيره ، كما يروي ذلك صاحب كتاب  
« جامع بيان العلم وفضله » .

هذا بعض ما كان من الصحابة في عهد الرسول صلى  
الله عليه وسلم . وتكثر الروايات فيما كان من كتابة  
الصحابة بعد انتقاله ، صلوات الله وسلامه عليه الى الرفيق  
الاعلى .

ففي مسند الامام احمد عن ابي عثمان النهدي قال ،  
كنا مع عتبة بن فرقد ، فكتب اليه عمر بأشياء يحدثه عن  
النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان فيما كتب اليه :  
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : - « لا  
يلبس الحرير في الدنيا الا من ليس له في الآخرة منه شيء  
الا هكذا » .

وقال باصبعيه السبابية والوسطى : قال ابو عثمان :  
فرأيت أنها أزرار الطيالسة حين رأينا الطيالسة .

ولقد كان الصحابة ينقل بعضهم عن بعض ، فعروة بن  
الزبير رضي الله عنه ، ينقل عن خالته ، السيدة عائشة ،  
رضوان الله عليها ، فتقول له : يا بني بلغني ائك تكتب عني  
الحديث ، ثم تعود فتكتب به .

فقال لها : أسمعه منك على شيء ، ثم اعود فأسمعه  
على غيره .

فقالت : هل تسمع في المعنى خلافا ؟  
قال : لا

قالت : لا بأس بذلك .  
وبشير بن نهيك يكتب عن أبي هريرة : ويجيزه أبو  
هريرة بالرواية عنه .

يقول بشير - كما يذكر كتاب : « السنة قبل  
التدوين » نقلا عن كتاب : « المحدث الفاضل » وغيره -  
أتيت أبا هريرة بكتابي الذي كتبته ، فقرأته عليه ، فقلت :  
هذا سمعته منك ؟

قال : نعم .  
وكان لابن عباس ، رضي الله عنه ألواح يكتب فيها  
عن الصحابة : مثل أبي رافع صاحب رسول الله ، صلى  
الله عليه وسلم .

بل لقد وصل الامر بأنس رضي الله عنه الذي لازم  
رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ملازمة تكاد تكون تامة  
طيلة عشر سنوات انه كان يلقي الحديث على جموع من  
الطالبين ، فإذا كثر عليه الناس ، واحتاجوا إلى صحف  
يكتبون فيها ، جاء إليهم بها من عنده فألقاها إليهم ، ثم قال:  
هذه أحاديث سمعتها وكتبتها عن رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم ، وعرضتها عليه .

وكان يقول ، رضي الله عنه ، لبنيه : يا بني قيدوا  
العلم بالكتاب .

وكان الصحابة يتراسلون في الأحاديث : يستفسرون  
ويتذكرون ، فمعاوية بن أبي سفيان ، رضي الله عنه ، يكتب  
للمغيرة بن شعبة رضوان الله عليه ، عدة مرات ، يستفسر  
عن بعض ما يرويه المغيرة عن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم .

فيجيئه المغيرة بن شعبة مرة عما كان رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ، مثلا ، يقول في ختام كل صلاة :  
« اللهم لا مانع لما اعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا  
راد لما قضيت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » .

ويجيئه مرة أخرى بأن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، نهى عن قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضياع المال .  
ويكتب زياد بن أبي سفيان إلى السيدة عائشة رضوان  
الله عليها ، يسألها عن مسائل تتعلق بالحج ، ويدرك لها  
فتوى ابن عباس رضي الله عنه . فتكتب له بما كان ، صلى  
الله عليه وسلم ، يفعله في الحج .

ويصف المرحوم الاستاذ السباعي بعض الجهود التي  
قام بها الصحابة لجمع الحديث فيقول في نهاية حديثه عن  
تلك الجهد :

فلما كان عهد عثمان سمح للصحابية أن يتفرقوا في  
الامصار ، واحتاج الناس إلى الصحابة ، وخاصة صغارهم ،

بعد ان اخذ الكبار يتناقصون يوما بعد يوم، فاجتهد صغار الصحابة بجمع الحديث من كبارهم ، فكانوا يأخذونه عنهم .

كما ثان يرحل بعضهم الى بعض من اجل طلب الحديث فقد أخرج البخاري في الادب المفرد ، واحمد ، والطبراني ، والبيهقي ، واللفظ له ، عن جابر بن عبد الله قال . بلغني حديث عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم اسمعه ، فابتعدت بعيدا فشدلت عليه رحلي ، ثم سرت اليه شهرا حتى قدمت الشام ، فاذا هو عبد الله بن انيس الانصاري ، فأتيته ، فقلت له :

حديث بلغني عنك اثك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في المظالم لم اسمعه ، فخشيت ان اموت ، او تموت قبل ان اسمعه .

فقال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول « يحشر الناس غلا بهما » .

قلنا : وما لهم ؟

قال : ليس معهم شيء ، فيناديهم نداء يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل النار ان يدخل النار واحد من اهل الجنة عنده مظلمة حتى أقصصها منه .

ولا ينبغي لأحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة واحد

من أهل النار يطلبه بظلمة حتى اقتصها منه حتى اللطمة  
قلنا : كيف ؟ وانما نأني الله عراة غرلا بهما ؟  
قال بالحسنات والسيئات .

وأخرج البيهقي وابن عبد البر عن عطاء بن أبي رباح  
ان ابا ايوب الانصاري رحل الى عتبة بن عامر يسألة عن  
حديث سمعه من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لسم  
بيق احد سمعه منه غيره ، فلما قدم الى منزل مسلمة بن  
مخلد الانصاري — وهو امير مصر — فخرج اليه فعائقه ،  
ثم قال :

ما جاء بك يا ابا ايوب ؟

قال : حديث سمعته من رسول الله ، صلى الله عليه  
 وسلم ، في ستر المؤمن .  
 فقال : نعم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 يقول : —

« من ستر مؤمنا في الدنيا على كربته ، ستره الله يوم  
القيمة ».

ثم انصرف ابو ايوب الى راحلته . فركبها راجعا الى  
المدينة ، فما ادركته جائزة مسلمة الا بعرיש مصر » إه  
ولقد وقر في اذهان الناس ، بصورة راسخة ان السنة  
لم تدون الا في القرن الثاني ، ومن اجل اقتلاع هذه  
الفكرة الخاطئة أطلنا في نقل بعض النصوص التي تثبت  
الحقيقة ، وهي ان السنة دونت في القرن الاول : في نهد

الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي عهد الصحابة الاجلاء  
ومن اجل زيادة الامر وضوحا ، ومن اجل تأكيد  
الحقيقة في الذهان : ننقل هنا ايضا رأي الاستاذ العليل ،  
السيد سليمان الندوی ، كبير علماء مسلمي القارة الهندية،  
هذا العصر : نقله عن كتابه النفيس : « الرسالة الحمدية »  
وهو محاضرات ألقاها في جامعة مدراسه . يقول :  
وانني اكشف النقاع ، لاول مرة في ناديكم هذا ، بأن  
من زعم ان الاحاديث النبوية لم تدون الى مائة سنة او  
سعين سنة قد أخطأ ، والتاريخ يعارضه .

والسبب في هذا الخطأ ظنهم ان اول كتاب في الحديث  
النبوی : « كتاب الموطأ » مالک بن انس ، واول كتاب في  
السیرة كتاب المغازي لابن اسحاق، وهذا زان الامامان الجليلان  
كانا معاصرین ، وتوفي الاول سنة ١٧٩ هـ والثاني سنة  
١٥١ هـ فاعتبروا العقود الاولى من القرن الثاني بدایة  
تدوین الاخبار والسیر .

والامر ليس كذلك . فان بوادر التدوین ابتدأت قبل  
ذلك بكثير ، وقد كان امير المؤمنین عمر بن العزیز المتوفی  
سنة ١٠١ عالما جلیلا ، ولی امارة المدينة ثم استخلف سنة ٩٩  
وقد عهد الى القاضی ، ابی بکر بن محمد بن عمرو بن حزم  
ـ الذي كان اماما في الحديث والخبر ـ ان يبدأ في تدوین  
سنن النبي صلى الله عليه وسلم واخباره ، لانه خاف على  
العلم ان يرفع شيئا فشيئا .

و خاف دوس العلم و عفاءه ، وقد ذكر هذا في تعلیقات البخاري ، والموطأ لمالك ، والمسند للدارمي . فقام بذلك ابو بکر بن حزم ، وكتبت الاحاديث والاخبار والسنن في القراطيس ، وارسلت الى دار الخلافة بدمشق ، ونسخت في الصحف والكتب ، وبعث بها الى البلاد الاسلامية وكبريات المدن يومئذ ( مختصر جامع بيان العلم للحافظ بن عبد البر ص ١٣٨ طبع بمصر ) .

فأبو بکر هذا الذي علمتم مكانته من العلم والفضل . وكان قاضياً بالمدينة المنورة ، هو الذي اختاره عمر بن عبد العزير لهذا العمل الجليل ، لعلمه وفضله ، ولأن خالته عمرة كانت من كبريات تلميذات ام المؤمنين عائشة ، وكان ماروته خالته عمرة عن ام المؤمنين عائشة محفوظاً عنده . فأوعز اليه عمر بن عبد العزير بتدوين مرويات خالته ، وقد اختصها بالذكر في كتابه اليه .

ويتابع السيد سليمان الندوبي حديثه فيقول :  
وامر صلی الله عليه وسلم ، فكتبت احکام الزکاة  
وما تجب فيه ، ومقادير ذلك ، فكتبت مشروحة مفصلة في  
صفحتين ، وبعث بصورة ذلك الى امراء البلاد وولاتها ،  
وبقية محفوظة في بيت ابی بکر الصدیق ، وابی بکر بن  
عمرو بن حزم . ( الدارقطني في كتاب الزکاة ٢٠٩ ) وكان  
عند عمال الزکاة رسائل فيها احکام الزکاة  
وكان ملرويات عبد الله بن عباس كراريس عدة .

وجاءه قوم من اهل الطائف بكراسة منها ليرووها عنه  
( العلل للترمذی ص ٦٩١ )

وكان سعيد بن جبير يكتب روايات عبد الله بن عباس  
( الدارمي ٦٩ ) وبقيت صحيفه عبد الله بن عمرو ( الصادقة )  
موجودة عند حفيده : عمرو بن شعيب « سنن الترمذی »  
( ص ٦١ ، ١١٣ )

كانوا يضعفون عمرو بن شعيب ، لأنه يروي من  
الصحيفه ، وكان ينبغي له ان يروي من حفظه .  
وجمع وهب التابعي روايات جابر بن عبد الله ، وكانت  
عند اسماعيل بن عبد الكرييم ، وضفتوه لأجل ذلك ( تهذيب  
التهذيب لابن حجر : ٣١٦ )

وروى سليمان بن سمرة بن جندب . انه كان عند ايه  
صحيفه فيها احاديث . وكذلك روى ابنه حبيب بن سليمان  
( تهذيب التهذيب ٤ : ١٩٨ )

وجمع همام بن منبه روايات ابي هريرة ، وهو اكثر  
الصحابه رواية ، واواعهم حفظا لاحاديث الرسول ، صلى  
الله عليه وسلم ، فصارت تعرف صحيفته بين المحدثين بصحيفه  
همام ، وقد اوردتها الامام احمد بن حنبل في الجزء الثاني من  
مسنده ( ص ٣١٢ - ٣١٨ الطبعة الاولى )

وكذلك بشير بن نهيك : كتب مروياته عن ابي هريرة  
في كتاب وقرأه عليه .  
( كتاب العلل للترمذی ص ٦٩١ . والدارمي ص ٦٨ )

والسنن الْكَبِيرِي لِلبيهقيِّ ١٠ : ٢٨٠ )

وذكر ابن حجر في كتابه فتح الباري : ان ابا هريسة جاء برجل الى بيته واراه اوراقا وقال : هذه روایاتي . وقال الذي روی ذلك : انها لم تكن مكتوبة بيده ( فتح الباري ١ : ١٨٤ - ١٨٥ ) .

وكان انس بن مالك - وهو معروف بكثرة الرواية - يقول لا ولاده يابني اكتبوا العلم وقideoه بالكتابة ( الدارمي ص ٦٨ ) .

وكان تلميذه « ابان » يكتب روایاته بين يديه . ( الدارمي ص ٦٨ ) .

وروي عن سلمى قالت : رأيت عبد الله بن عباس يستسلم ابا رافع خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما كان صلى الله عليه وسلم ، يفعل او يقول ( طبقات ابن سعد ٢/٢ : ١٢٣ ) .

والواقدي وهو من متقدمي المصنفين في السيرة النبوية يقول : رأيت عند عبد الله بن عباس الكتاب الذي ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الى المنذر بن ساوي سيد عمان مع كتب اخرى ( زاد المعاد ٢ : ٥٧ ) .

وفي تاريخ الطبرى : ان عروة بن الزبير كتب جميع ما كان في غزوة بدر مفصلا الى عبد الملك الخليفة الاموى ( الطبرى ١٢٨٥ ) .

ويقول سعيد بن جبير التابعى : كنت اكتب على الاقتاب

ما اسمعه في الليل من عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ،  
فإذا أصبحت كتبته واضحاً ( الدارمي ص ٦٩ )  
وكان أصحاب البراء بن عازب يكتبون عنده رواياته  
( الدارمي ٦٩ )

وكان نافع - وقد صحب ابن عمر ثلاثين سنة - يلمي  
على الناس ( الدارمي ص ٦٩ )

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود انه اخرج  
كتاباً وقال : وأيم الله ، هذا ما كتبته يد ابن مسعود  
( جامع العلم لابن عبد البر ص ١٧ )

وتتابع الحديث في الموضوع على الرغم من ان الامر  
اصبح واضحاً ففضيـف الى ما سبق .

أن مروان قد خطب في الناس فذكر مكة وحرمتها ،  
فقال رافع بن خديج بصوت يسمعه الناس .

والمدينة حرمها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم  
وهو مكتوب عندنا في أديم خولاـفي ان شئت أن تقرئـه  
 فعلـنا .

فـنـادـاهـ مـرـوـانـ أـجـلـ قـدـ بـلـغـنـاـ ذـلـكـ ( مـسـنـدـ الـأـمـامـ اـحـمـدـ  
ابـنـ حـنـبـلـ ٤ـ :ـ ١ـ٤ـ١ـ )

وارسل الفضـاحـكـ بنـ قـيسـ كتابـاـ إلىـ التـعـمانـ بنـ بشـيرـ  
يـسـأـلـهـ فـيـهـ عـنـ السـوـرـةـ التـيـ كـانـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ  
وـبـلـيـمـ يـقـرـؤـهـاـ فـيـ صـلـاتـةـ الـجـمـعـةـ غـيـرـ سـوـرـةـ الـجـمـعـةـ .

فكتب اليه يقول : كان يقرأ « هل أتاك » ( صحيح مسلم ) ٠

وكتب عمر بن الخطاب الى عتبة بن فرقان كتاباً ذكر فيه ٠ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الحرير ( صحيح مسلم ) ٠

« ويقول مجاهد : رأيت عند عبد الله بن عمرو كتاباً فسألته : ما هذا ؟ فقال : هذه « الصادقة » فيها ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس في ذلك يبني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم احد » ٠

ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عمرو بن حزم اليمن وبعثه اليها اعطاء احكاماً مكتوبة في الفرائض والصدقات والديات « كنز العمال ٣ : ١٨٦ » ٠

وتلقى عبد الله بن حكيم كتاباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيه أحكام الحيوانات الميتة ( المعجم الصغير للطبراني ص ٢١٧ ) ٠

ولما اراد وائل بن حجر ان يرجع الى بلاده حضرموت ناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كتاباً فيه احكام الصلاة والصوم والربا والخمر وغير ذلك ( الطبراني ص ٢٤٢ ) ٠

ولما واجه امير المؤمنين عمر بن الخطاب السؤال الى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان كان عند احد منهم سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في نصيب المرأة

من دية زوجها قام الضحاك بن سفيان فقال :  
نعم عندنا كتاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
يبين فيه ذلك ( الدار قطى ٢ : ٤٨٥ ) ( ١ )

وقد بلغ عدد الصحابة رضي الله عنهم في آخر حياة  
النبي صلى الله عليه وسلم - عندما حج حجة الوداع -  
مائة الف ، ومن هؤلاء عشرة آلاف صحابي مذكورة  
اسماؤهم واحوالهم في كتب التاريخ التي افردت لتدوين  
احوالهم خاصة .

وان التاريخ لم يهتم بتدوين احوالهم ولم يحفظ لنا  
شئونهم الا لأن كل واحد منهم حفظ شيئاً من اقوال النبي  
صلى الله عليه وسلم ، وافعاله وتصرفاته وهديه وسيرته .

لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سنة ١١  
من الهجرة النبوية ، وبقي فريق من كبار الصحابة بعده الى سنة  
أربعين ، وبقي بعد ذلك من الصحابة ، الذين كانوا احدثا  
في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، عدد غير قليل . فلما  
انقض ذلك الجيل لم يبق من الصحابة احد ، وانطفأ كل  
سراج او قد بنور النبوة .

واليكم اسماء آخر من ما ت من الصحابة ، والبلاد  
التي ماتوا فيها ، وسنوات وفاتهم .

( ١ ) انظر : «السنة قبل التدوين» والسنة ومكانتها في التشريع  
الإسلامي ، ورجال الفكر والدعوة ..

آخر الصحابة موتاً	المدن التي توفوا فيها	سنة الوفاة
١ - أبو أمامة	الشام	٨٦
٢ - عبدالله بن الحارث بن جزء	مصر	٨٦
٣ - عبدالله بن أبي أوفى	الكوفة	٨٧
٤ - السائب بن يزيد	المدينة	٩١
٥ - أنس بن مالك	البصرة	٩٣

وانس بن مالك هذا الذي كان آخر من بقي من الصحابة كان الخادم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، استمر في خدمته عشر سنوات متالية .

ومعظم هذه الثروة الحديثية كما يقول الاستاذ الجليل ابو الحسن الندوی — قد كتب دون بأقلام رواة في العصر الاول ، وقد يزيد ما حفظ في الكتب والدفاتر كتابة وتحريبا في العصر النبوي وفي عصر الصحابة رضي الله عنهم ، على عشرة آلاف حديث ، اذا جمعت صحف ومجاميع أبي هريرة عبد الله بن عمرو بن العاص ، وأنس بن مالك ، وجابر بن عبد الله ، وعلي وابن عباس رضي الله عنهم ، فيمكن ان يقال : أن ما ثبت من الاحاديث الصحاح واحتوت عليه مجاميعها ومسانيدها قد كتب دون في عصر النبوة وفي عصر الصحابة قبل ان يدون الموطأ والصحاح ، بكثير .

جمعت السنة اذن — جميعها تقريباً — في عهد الرسول  
صلى الله عليه وسلم ، وعهد الصحابة •  
جمعت دون ترتيب ولا تنسيق •  
جمعت متفرقة متتالرة، يكتب هذا الحديث والحاديدين،  
ويكتب الآخر المائة والمائتين ، ويزيد الثالث عن ذلك ، ويتملي  
الرابع من حفظه على الآخرين ، وهكذا ، وفي ذلك لم يكن  
لأحد اهتمام بالتنصيد او التنسيق •  
يقول الاستاذ العالم الورع المستثبت ابو الحسن الندوبي  
في كتابه « رجال الفكر والدعوة » ما يلي :  
وإذا جمعت هذه الصحف والمجلazines ، وما احتوت  
عليه من الاحاديث ، كونت العدد الاكبر من الاحاديث التي  
جمعت في الجواجم والمسانيد وال السنن في القرن الثالث  
وهكذا يتحقق ان المجموع الكبير الاكبر من الاحاديث  
سبق تدوينه وتسجيشه — من غير نظام وترتيب — في عهد  
ا رسول ، صلى الله عليه وسلم ، وفي عصر الصحابة رضي  
الله عنهم •

صلى الله عليه وسلم ، وفي عصر الصحابة رضي الله عنهم •  
ويتحدث الاستاذ ابو الحسن الندوبي عن الوهم الشائع  
بين الناس من ان السنة لم تدون الا في القرن الثالث ، ويعمل  
هذا الوهم تعليلات منطقية فيقول :  
وقد شاع في الناس — حتى المثقفين والمؤلفين — أن  
الحديث لم يكتب ولم يسجل الا في القرن الثالث المجري ،

واحسنهم حالاً من يرى أنه قد كتب ودون في القرن الثاني .  
وما نشأ ذلك الغلط الا عن طريقتين :

الاولى : ان عامة المؤرخين يقتصرؤن على ذكر مدوني  
ال الحديث في القرن الثاني ، ولا يعنون بذكر هذه الصحف  
والمجاميع التي كتبت في القرن الاول ، لأن عامتها فقدت  
وضاعت مع أنها اندمجت وذابت في المؤلفات المتأخرة .

الثانية : ان المحدثين يذكرون عدد الاحاديث الضخم  
الهائل الذي لا يتصور ان يكون قد جاء في هذه المجاميع  
الصغيرة التي كتبت من القرن الاول ، مع ان عدد الاحاديث  
الصحاح غير المتكررة المتجردة من المتابعات والشواهد لا  
يزال قليلاً .

وقد نبه على ذلك العلامة ، مناظر احسن الكيلاني  
رئيس القسم الديني سابقاً في الجامعة العثمانية بجیدر آباد  
في كتابه العظيم : « تدوین الحديث » يقول وحمه الله :  
وقد يتعجب الانسان من ضخامة عدد الاحاديث  
المروية فيقال : ان احمد بن حنبل كان يحفظ اكثر من سبعمائة  
الف حديث .

وكذلك يقال عن ابي زرعة .

ويروى عن الامام البخاري انه كان يحفظ مائتي الف  
من الاحاديث الضعيفة ، ومائة الف من الاحاديث الصحيحة .  
ويروى عن مسلم أنه قال : جمعت كتابي من ثلاثة  
الف حديث . ولا يعرف كثير من المتعلمين — فضلاً عن

العامة .— إن الذي يكون هذا العدد الضخم هو كثرة  
المتابعات والشواهد التي عني بها المحدثون .  
فحديث « إنما الاعمال بالنيات » مثلاً يروى من  
سبعمائة طريق .

فلو جردننا مجاميع الحديث من هذه المتابعات  
والشواهد لبقي عدد قليل من الأحاديث .  
فالجامع الصحيح للبخاري لا تزيد الأحاديث التي  
رويت بالسند الصحيح فيه على ألفين وستمائة وحدفين .  
وأحاديث مسلم يبلغ عددها إلى أربعة آلاف حديث .  
وهكذا لا يبلغ عدد الأحاديث المروية في كتب الصحاح  
الستة ، ومسند أحمد ، وكتب أخرى ، خمسين ألف حديث ،  
منها الصحيح ومنها السقيم ، ومنها المتافق عليه ، ومنها  
المتكلم فيه .

وقد صرخ الحاكم أبو عبد الله — الذي يعد من  
التسامحين المتوسعين أن الأحاديث التي في الدرجة الأولى  
لا تبلغ عشرة آلاف « توجيه النظر ص ٩٣ » .  
ويقول الاستاذ :

ولم يتصف القرن الثاني حتى كانت حركة الجمع  
والتدوين انشط واقوى .

وكان ممن سبق إليها من الرجال هذا القرن :  
ابن شهاب الزهري — مات عام ١٣٤ هـ  
وابن جريج المكي — مات عام ١٥٠ هـ

وابن اسحق — مات عام ١٥١ هـ  
 وم عمر اليمني — مات عام ١٥٣ هـ  
 وسعيد بن أبي عروبة المدنى — مات عام ١٥٦ هـ  
 وربيع بن صبيح — مات عام ١٦٠ هـ  
 وسفيان الثورى — مات عام ١٦١ هـ  
 ومالك بن انس — مات عام ١٧٩ هـ  
 والليث بن سعد — مات عام ١٧٥ هـ  
 وابن المبارك — مات عام ١٨١ هـ  
 ثم تتابع الناس (١)

ليس من همنا في هذا الفصل ان تتتابع السنة في  
 تدوينها ، وإنما أردنا ان نوضح في هذا الفصل توضيحا  
 شافيا فكرا ان السنة دونت في عهد الرسول ، صلى الله  
 عليه وسلم ، وعهد الصحابة ، رضوان الله عليهم ، وأظن انه  
 قد استبان الآن الامر بما لا يحتاج الى مزيد ، وشكر الله  
 للباحثين الاعلام المتبرسين الذين استندنا اليهم في هذا  
 الحديث .

---

(١) انظر كتاب : رجال الفكر والدعوة لابي الحسن الندوى

### الفصل الثالث

## المحدثون في جهادهم

وفي ضوء ما سبق قد يتساءل بعض الناس ؟ هل معنى ذلك أنه لم تحدث محاولات للوضع ، او حدث وضع بالفعل وتزييف ، واحتراز في السنة ؟ الواقع ان من يزعم ان السنة على مجرى التاريخ قد خلت من الوضع انما ينكر الحقائق الثابتة .

لقد حاول الكثيرون وضع احاديث على لسان الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وحاولوا ذلك لأسباب مختلفة منها : -

١ - أن بعض الناس كذابون بطبيعتهم ، اتخذوا الكذب هواية لا يستقيم امرهم الا على الكذب ، فكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واذا كان من المعروف في جميع الاديان ان بعض الناس يكذب على الله ، فان من الامور التي تحدث ان يكذب بعض الناس على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

٢ - وبعض الناس يسيطر عليه مذهب من المذاهب او نزعة من النزعات ، ويتشبع بذلك حتى يملأ عليه أقطاره فيكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تأييداً للمذهب وتأكيداً لنزعته ، وارضاً لهواه .

٣ - وبعض الناس دخل في الاسلام كرها للإسلام :  
دخله ليتأمر عليه ، دخله ليكون في ظروف أكثر ملائمة  
للتأمر عليه : فكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
افساداً للمبادئ الاسلامية الصحيحة ، وتزييفاً لها .

٤ - وبعض الناس استباح الكذب على رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، في سبيل مواعظة الآخرين وهدائهم ،  
ورأى أن غايته التهذيبية تبيح له ركوب هذا المركب  
الفاسد .

هذه هي كل أو أكثر الأسباب التي دعت إلى وضع  
الأحاديث والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
ولكن ذلك لم يكن في السنة بداعاً من الأمر .  
فهذه الأسباب في الجملة كانت ولا تزال الأسباب  
لتزييف التاريخ .

ان التاريخ - منذ عرف - لم يخل من العوامل التي  
تحاول وضعه على غير ما كان عليه بالفعل ، وتلوينه على  
الصورة التي يريد بعض الناس - ملوكاً أو أمراء أو زعماء  
على أي وضع كانوا - ان يكون عليها .

ولكن تزييفهم للتاريخ لم يمنع من ظهور الحقائق ،  
وكذبهم على التاريخ لم يمنع من بيان الحق ومعرفة الناس  
له .

ولقد وضع المؤرخون المحدثون اصولاً للنقد ،  
وعلامات للحوادث المزيفة وقواعد لمعرفة الحقيقة .

ولقد استعنوا في سبيل المعرفة الصحيحة باللغة ، وبالحوادث اليقينية المتواترة، وبالشهود العدول، وبالمقارنات لقد استعنوا بالنقد الداخلي ، والنقد الخارجي ووصلوا بذلك الى الحقائق التي يطمئنون اليها ، برغم ما يفصل بينهم وبين مكان الاحداث من آلاف الاميال، وببرغم ما يفصل بينهم وبين ازمنة الحوادث من عشرات القرون . ومع كل ما حاوله المؤرخون من جهد ، ومع كل ما وضعوه من قواعد للوصول الى اليقين فانهم — والحق يقال — لم يصلوا في كل ذلك الى ما وصل اليه سادتنا المحدثون ، رضوان الله عليهم . وذلك للأسباب التالية :

١ — لقد بدأ تسجيل السنة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتم تسجيلها — تلتها تقريريا — في عهد الصحابة رضوان الله عليهم . فكأن قرب الزمن ، اذن ، من عوامل صحة السنة .

٢ — وسجل اكثراها في المكان نفسه الذي كان فيه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، او في امكانة قريبة ، نسبيا ، منه .

٣ — ولقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، احاديث كانت تحد من الوضع ، في المبدأ على الاقل ، مثل حديث :

«من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده في النار » .  
وهذه ملاحظات نذكرها لا لقول انها حاسمة فيما

يتعلق بأمر صحة ما روي — ولقد قدمنا : أن الوضع وجد بالفعل — ولكننا نذكرها في مقابلة ما يحاول بعض الناس التهويل به من أمر التزييف والوضع ٠

اما الامور الحاسمة التي تجعلنا ثق في النتائج والثمار التي وصل اليها سلفنا الصالح فيما يتعلق بأمر السنة ، فان في اساسها :

١ - ايمان هؤلاء السلف بأنهم في عنايتهم بالسنة :  
— بما صح منها ، وبما وضع فيها — انما يجاهدون في سبيل الله ٠

لقد كانوا مؤمنين ايمانا عميقا ثابتا بأن في عنقهم واجبا دينيا هو ان يخلصوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من كل زيف ، وان ينقوها من الكدورات في اخلاص مخلص ، وفي صورة من اليقين لا يفترون في الوصول اليه ٠

ولقد كانوا يعدون بالالاف ، ويمتازون — كما يقول ابو الحسن الندوبي — بعلو نشاطهم ، وقوة احتمالهم وصبرهم ، وقوة ذاكرتهم وحفظهم ، وقد تدفق سيلهم من بلاد العجم ، وقد ملكت قلوبهم وعقولهم الرغبة الشديدة في جمع الحديث ، وشفعوا به شففا حال بينهم وبين الشهوات ، فطاروا في الافق ، ونقوا في البلاد في البحث عن الروايات المختلفة ، والاسانيد الصحيحة ٠

وكان لهم في ذلك هIAM وGRAM لم يعرفا عن امة من الام في التاريخ كله ، يدل على ذلك بعض الدلالة ما يروى عن

المحدثين من التجول في البلاد ، والسفر في العالم الإسلامي ،  
من أقصاه إلى أقصاه .

فقد روي : أن البخاري صاحب الصحيح ، بدأ  
رحلته العلمية وهو لا يزال في الرابعة عشر من سنه ، وقد  
زار البلدان الإسلامية : ما بين بخارى ومصر وشيوخها .

وروى عن أبي حاتم الرازى م ٢٧٧ هـ قال :  
« أول ما رحلت أقست سبع سنين ؛ ومشيت على قدمي  
زيادة على ألف فرسخ ثم تركت العدد وخرجت من البحرين  
إلى مصر ، ثم إلى الرملة ماشيا ، ثم إلى طرطوس ولې عشرون  
سنة » .

وقد سمع محدث الاندلس ابن حيون ( م ٣٧٤ هـ )  
الحديث في الاندلس والعراق ، والمحجاز واليمن ، وهكذا  
قطع قارة إفريقيا من طنجة إلى مصر ، وعبر البحر الأحمر .  
ومن المحدثين من سافر في قارة إفريقيا وآسيا وأوروبا  
في طلب الحديث وهكذا انتظمت رحلته العلمية ثلاثة  
قارات كبرى .

وكان كثير من المحدثين يخرج من الاندلس أقصى  
الغرب في العالم المتعدد المعروف يومئذ ويبلغ أقصاه في  
الشرق إلى خراسان أو بالعكس ، والمطالع في تذكرة الحفاظ  
للهذهبي يدهش لطموح هؤلاء الرجال واحتمالهم المشاق في  
طلب العلم .

٢ - ولقد استعمل أمتنا النقد الداخلي والنقد

الخارجي ، بل تقد استهملوا ما يسكن ان نسميه المشاركة  
الوجданية ، او بعبارة ادق ، استرواح رائحة النبوة ، او  
استلهم طابع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث ،  
او استبصر القاب ، والهام الروح ، وآشراق البهيرة ، في  
المعرفة :

يقول الربيع بن خيثم :

« اذ من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار تعرفه  
به »

وان من الحديث حديثا له ظالمة كظلمة الليل تعرفه  
بها » (١) .

وهذه الطريقة تعتبر في العصر العاضر الاوروبي من  
ابتداعات القرن العشرين . لقد استعملها أئمتنا ووضعوا لها  
الاصول ، وبيانوا كيفيةها ، ولم يتركوها للأهواء والمشتبه ،  
ومن ادق التعبيرات عنها ما يقوله ابن القيم .  
سئلـت : هل يمكن معرفة الموضوع بضابط ، من غير  
ان ينظر في سنته ؟  
فهذا سؤال عظيم القدر .

وانما يعلم ذلك من تصلع في معرفة السنن الصحيحة ،  
واختلطت بدمه ولحمه ، وصار له فيها ملكة ، وصار له  
اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ، ومعرفة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، وهديه فيما يأمر به وينهى عنه ، ويخبر

---

(١) الحاكم : في معرفة علوم الحديث ص ٢٦

عنه ويدعو اليه ، ويحبه ويكرهه ، ويشرعه للأمة ، بحيث  
كانه مخالط للرسول صلى الله عليه وسلم كواحد من  
أصحابه .

ومثل هذا يعرف من احوال الرسول صلى الله عليه  
 وسلم ، ولهديه وللامنه ، وما يجوز ان يخبر عنه ، وما لا  
 يجوز — ما لا يعرفه غيره .

وهذا شأن كل متبوع مع متبعه، فلأنه شخص به، الحريص  
 على تتبع اقواله وافعاله في العلم بها ، والتمييز بين ما يصح  
 ان ينسب اليه وما لا يصح — ما ليس من لا يكون كذلك،  
 وهذا شأن المقلدين مع أئمتهم : يعرفون من اقوالهم  
 وتصوصهم ومذاهبهم واساليبهم ومساربهم ما لا يعرفه  
 غيرهم ، وفي هذه الطريقة ايضا يقول ابن دقيق العيد :  
 « وكثيرا ما يحكمون بذلك ( أي بالوضع ) باعتبار  
 يرجع الى المروي والفاظ الحديث ، وحاصله انها حصلت  
 لهم بكثرة محاولة الفاظ النبي صلى الله عليه وسلم هيئه  
 نفسانية وملائكة يعرفون بها ما يجوز ان يكون من الفاظه  
 وما لا يجوز » .

ويقول ابن الجوزي :  
 الحديث المتكرر يقشعر له جلد الطالب للعلم ، وينفر منه  
 قلبه في الغالب .

٣ — وانه لمن المعروف ان عناية سلفنا الصالح لم تكن  
 موجهة الى جمع الحديث وتدوينه فحسب ، وانما تعددت

ذلك — كما يقول الاستاذ الجليل ابو الحسن الندوبي —  
انى الوسائل التي وقعت في رواية الحديث — وهم الرواة  
الذين رووا هذه الاحاديث .

فعنوا بمعرفتهم ومعرفة اسمائهم واسماء آباءهم ،  
وحوادث حياتهم واخلاقهم ، ومكانتهم في الامانة ، والصدق ،  
والحفظ .

وهكذا اصبح الذين اتصلوا بالشخصية الكريمة التي  
وعد الله لها بالخلود وبقاء الذكر وانتشار الاسم « ورفعنا  
لک ذكرك » اصبح الذين اتصلوا بها موضوع الدارسين ،  
والباحثين ، وخرجوا من زوايا الخمول واستحقوا الحياة  
والاشتهر ، واصابهم فيض من حياة هذه الشخصية الخالدة  
فحيوا وظروا واحتفظ التاريخ باسمائهم واحوالهم ، ورآه  
حقا على نفسه ، وهكذا ظهر علم أسماء الرجال في عالم  
الوجود ، وكان من مفاخر هذه الامة التي لا تشاركها فيها  
امة من الامم ، قال الدكتور « اسبرنجر »

في مقدمته الانجليزية على كتاب الاصابة في احوال الصحابة  
للحافظ ابن حجر العسقلاني ما ترجمته .

« لم تعرف امة في التاريخ ، ولا توجد الان على ظهر  
الارض ، وفقت لاختراع فن من اسماء الرجال الذي  
نستطيع بفضلة ان نقف على ترجمة خمسمائة الف ( نصف  
مليون ) من الرجال » .

ولم يعن المحدثون بتعريف رجال الحديث فحسب ،

بل التزموا الصدق والصراحة في تعريفهم ، وجمعوا كل ما يتصل بأخلاقهم وعاداتهم ، وما يدل على قوتهم وضعفهم ، واحتياطهم وتساهليهم ، وتقواهم وعلمهم وذاكرتهم ، وجمعوا كل مقاله معاصروهم فيهم، ولم يداروا ولم يجاملو في ذلك، ولم يهابوا احدا ، ولو كان بعضهم أميراً مهاباً أو شيخاً وقوراً .

وقد روى التاريخ في ذلك طرائف تدل على شدة هؤلاء الناقدين وعلمهم بقوله تعالى : « كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقرئين » وتدقيقهم .

قال ابو داود : كان ابو وكيع على بيت المال ، فكان وكيع ، ( م ١٩٧ ) اذا روى عنه قرنه باخر .

وقد ترك معاذ بن معاذ العنبري ( م ١٩٦ هـ ) رواية السعودية ، لأنه رأه يطالع الكتاب ، يعني قد تغير حفظه . وقد قدم اليه عشرة آلاف دينار ، وطلب منه ان يسكت عن فلان فلا يتكلم فيه بجرح ولا تعديل ، فأبى ورفض هذا الحال العظيم ، وقال : « لا أكتم الحق » .

وهذا قليل من كثير جداً يدل على امانة علماء الحديث والرجال ، وتدقيقهم في موضوعهم ، وتحريهم الحق والعدل في شهاداتهم ، فهل يوجد في تاريخ العلم نظير لهذه الامانة والتدقير ؟



وما من شك في أن سلفنا الصالح بدأ بالاهتمام  
بالاسناد :

أي بالاهتمام بهؤلاء الذين رروا الحديث واحدا عن  
واحد حتى وصلوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،  
او إلى أحد الصحابة رضوان الله عليهم .

ولقد اهتموا بالاسناد الى درجة ان جعلوه من الدين  
يقول الامام الزهري :

«الاسناد من الدين » .

لقد بحثوا عن هؤلاء الذين جاء حديث رسول الله  
صلى الله عليه وسلم عن طريقهم :

لقد بحثوا عن ميلادهم ، وعن وفاتهم ، وعن أخلاقهم،  
وعن غفلتهم وسهوهم ، او يقظتهم وصحوهم وعن ذاكرتهم  
وضبطهم ، لقد بحثوا عن كل ما يتصل بهم في الفاظهم التي  
ينطقون بها ، وفي سلوكهم الذي يسيرون عليه ، وفي سماتهم  
من ناحية الورق والخفة ، وفي أهوائهم ومشاربهم ، وفي  
نزاعاتهم ، وفي ميولهم على وجه العموم .

لقد اخترع المسلمون عالم تshireح كامل ، وضعوا به  
على مائدة المعرفة ما يقرب من نصف مليون من البشر .

لقد اخترعوا علما لم يخترعه سابقوهم ، حتى بالنسبة  
لكتبهم المقدسة ولم يصل إليه لاحقوهم حتى في العصر  
الحديث .

علماء يقول عنه المستشرق الالماني « اسبرنجر » في تصديره لكتاب الاصابة لابن حجر حينما كان في كلكتا ١٨٥٣ - ١٨٦٤ : - الكلمة التي سبق اذ ذكر نهاها ، والتي تعبّر عن الحقيقة الواقعية .

ولقد قيل مرة لابن المبارك : - « هذه الاحاديث المصنوعة ؟ » .

فقال « يعيش لها الجهابذة » .

هؤلاء الجهابذة قاموا بما عليهم خير قيام .

يتحدث صاحب كتاب « تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل » عن بعض ما قام به هؤلاء الجهابذة فيقول :

« التمييز بين الرواية » قال ابو محمد :

فلما لم نجد سبيلا الى معرفة شيء من معانى كتاب الله ، ولا من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من جهة النقل والرواية: وجب ان نميز بين عدول الناقلة والرواية وثقافتهم واهل الحفظ والتثبت والاتقان منهم ، وبين اهل الغفلة والتشتت وسوء الحفظ والكذب، واختراع الاحاديث الكاذبة .

ولما كان الدين هو الذي جاءنا عن الله عز وجل وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ، بنقل الرواية ، حق علينا معرفتهم ، ووجب الفحص عن الناقلة والبحث عن احوالهم ، وائبات الذين عرفناهم بشرائط العدالة والتثبت في الرواية مما يتقتضي حكم العدالة في نقل الحديث بأن يكونوا امناء

في انفسهم، علماء بدينهم، أهل ورع وتقوى وحفظ للحديث  
واتفاقاً به وثبتت فيه ٠

وأن يكونوا أهل تمييز وتحصيل ، لا يشوبهم كثير  
من الغفلات ، ولا تغلب عليهم الاوهام فيما قد حفظوه  
ووعوه ولا يشبه عليهم بالاغلوطات ٠

وان يعزل عنهم الذين جرّحهم اهل العدالة ، وكشفوا  
لنا عن عوراتهم في كذبهم ، وما كان يعترىهم من غالب  
الغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط والسهوا والاشتباه ،  
ليعرف به ادلة هذا الدين ( واعلامه - ١ ) وامانة الله في  
ارضه على كتابه وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وهم هؤلاء أهل العدالة ، فيتمسك بالذى روى ويعتمد  
عليه ، وليرى اهل الكذب تخرضاً واهل الكذب وهما ،  
واهل الغفلة والنسيان والغلط ورداءة الحفظ ، فيكشف عن  
حالهم وينبئ عن الوجوه التي كان مجرى روایتهم عليها ،  
ان كذباً فكذب ، وان وهما فوهم ، وان غلطاً فغلط ٠

«طبقات الرواية» : ثم احتاج الى تبيين طبقاتهم ومقادير  
حالاتهم ، وتبالين درجاتهم ، ليعرف من كان منهم في منزلة  
الانتقاد والجهيدة والتنقير والبحث عن الرجال والمعرفة بهم  
— وهؤلاء هم اهل التزكية والتعديل والجرح ٠

ويعرف من كان منهم عدلاً في نفسه من اهل التثبت  
في الحديث والحفظ له والاتفاق فيه — فهؤلاء هم اهل  
العدالة ٠

ومنهم الصدوق في روايته ، الورع في دينه ، المثبت الذي يهم احيانا وقد قبله الجهابذة النقاد — فهذا يحتاج بحديثه ايضا ٠

ومنهم الصدوق الورع المغلل الغالب عليه الوهم والخطأ والسلهو والغلط — فهذا يكتب من حديثه الترغيب والترهيب والزهد والأداب ٠ ولا يحتاج بحديثه في الحال والحرام ٠

ومنهم من قد ألق نفسيه بهم ودلتها بينهم — من قد ظهر للنقد العلماء بالرجال منهم الكذب ، فهذا يترك حديثه وتطرح روايته ويسقط ولا يشتعل به » اهـ ٠

ولقد كان هؤلاء الجهابذة في سبيل الدين ييدون آراءهم في أمس الناس بهم ، نصيحة للمسلمين ، وتقوى منهم ، فزيد بن أبي أنيسة — كما يذكر صحيح مسنون بشرح النووي —

يقول : « لا تأخذوا عن أخي ٠  
ويسأل علي بن المديني عن أخيه فيقول :  
« سلوا عنه غيري ٠» ٠

فيعيدون السؤال من جديد ، فيطرق ، ثم يرفع رأسه ، ويقول : « هو الدين ، انه ضعيف ، ٠» ٠  
وكان امر وكيع بن الجراح طريفا ، فقد كان ابوه رجلا صالحا ، لاماخذ عليه ، غير انه كان على بيت المال ، ومن

اجل وظيفته هذه كان ابنه — اذا روى عنه — يقرن معه آخر .

لقد كان سلفنا رضوان الله عليهم يعنون بالاسناد عنانية فائقة ، حتى لقد قال سفيان الثوري رضي الله عنه : « الاسناد سلاح المؤمن ، فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل (١) »

ويفسر الدكتور ناصر الدين الأسد العناية بالاسناد تفسيرا صادقا فيقول ص ٢٢٦ من كتابه النفيس : مصادر انشعر الجاهلي :

يبدو لنا ان مرد التزام الاسناد المتصل في روایة الحديث الى امررين ، امر داخلي ، وآخر خارجي .

اما الداخلي فمبنته من نفس الراوي ، ومصدره شعوره بالتحرّج الديني ، وذلك انه ينقل كلاما من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي قال في حديثه المشهور :

« من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .  
وفي الاسناد المتصل ما يجعل المحدث يطمئن الى ان غيره من شيوخه وشيوخ شيوخه ، ثم التابعين والصحابة ، يشتراكون معه في تحمل تبعه هذا الحديث ونقله ، وانه لا

---

(١) انظر كتاب السنة قبل التدوين ص ٢٢٣

يستقل وحده بحمل هذا العبء ، وان تبعته لا تعدو النقل  
الامين لما سمعه عن شيخ ثقة ثبت .

واما الامر الخارجي فمرجعه الى سامي الحديث من  
المحدث ، وذلك ان الحديث يتضمن جزءاً كبيراً من السنة،  
او هو السنة كلها ، وهو من اجل ذلك مصدر من مصادر  
التشريع الاسلامي ، بل انه هو المصدر الثاني الذي يلي  
في القيمة كتاب الله ، فذلك كان ما رأيت منهم من التدقيق  
والتحقيق ، ومما يبعث الطمأنينة في نفوس السامعين ،  
ويوحى اليهم بالثقة في حديث المحدث — ان يصل بين عصره  
وعصر الرسول الكريم بسلسلة متصلة من الرواة المحدثين،  
كلهم يشهد أنه سمعه من قبله حتى يصل الاسناد الى  
الصحابة فالرسول .

مصادر الشعر الجاهلي ص ٢٥٨ : ٢٥٩ هـ  
ودخل في هذا الباب — باب الاسناد — قدم الرواة ،  
وتصنيفهم الى فئات يأخذون من بعضها ويتوقفون عن  
البعض ، ويعملون على ملاً من الناس كذب البعض ، وكان  
لهم في هذا المجال شعور مرتفع ، او شعور مترف اذا امكن  
هذا التعبير .

يقول الامام مالك رضي الله عنه :  
لا يؤخذ العلم عن اربعة :

- ١ — رجل معطن بالسنة ، وان كان اروى الناس .
- ٢ — رجل يكذب في احاديث الناس ، وان كنت لا

أتهمه ان يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
٣ - وصاحب هوى يدعى الناس الى هواه .  
٤ - وشيخ له فضل وعبادة اذا كان لا يعرف ما يحدث به .

ولقد كان يحيى بن سعيد القطان رحمة الله يترك حديث الكثير من يظهر بعض الناس بهم الخير ، فقيل له :  
« اما تخشى ان يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله يوم القيمة ؟ »

فقال : لأن يكون هؤلاء خصمي احب الي من ان يكون خصمي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول :  
« لم لم تذهب الكذب عن حديثي » .

لقد اتفق المحدثون على ألا يأخذوا الحديث عن :

١ - الكاذبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل لقد اختلفوا في كفر هؤلاء ، بل لقد اختلفوا في قبول الله لتوبيتهم ، ويكتفي ان يعرف الكذب من احدثهم مرة واحدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيسقط ذلك جميع احاديثه .

على ان الكذب على الناس كان في ترك حديث الكذاب حتى ولو كان يتجرج من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما ذكر ذلك الامام مالك ، رضي الله عنه فيما سبق .

ولأنستنا في تعقب الكذابين طرائف :  
يقول الاستاذ السباعي في كتابه النفيس : « السنة  
ومكانتها في التشريع الاسلامي » :  
مبينا بعض علامات الوضع في السنن ، ومنها اذ يروى  
انراوي عن شيخ لم يثبت لقياه له ، او ولد بعد وفاته ، او  
لم يدخل المكان الذي ادعى سماعه فيه ، كما ادعى مأمون  
بن احمد الهروي انه سمع من هشام بن عمار .

فسئله الحافظ بن حبان :  
متى دخلت الشام ؟  
قال : سنة خمسين ومائتين .  
قال ابن حبان : فان هشاما الذي تروي عنه مات سنة  
خمس وأربعين ومائتين .  
وكما حدث عبد الله بن اسحاق الكرماني عن محمد بن  
ابي يعقوب ، فقيل له : مات محمد قبل ان تولد بتسعم سنين  
وكم حدث محمد بن حاتم المكي ، عن عبد بن حميد  
فقال الحكم ابو عبد الله: هذا الشيخ سمع من عبد بن حميد  
بعد موته بثلاث عشرة سنة .

وفي مقدمة مسلم : ان المعلى بن عرفان قال :  
حدثنا ابو وايل ، قال : خرج علينا ابن مسعود بصفين ،  
وقال ابو نعيم يعني الفضل بن دكين ، حاكيه عن المعلى ،  
اتراه بعث بعد الموت ؟ وذلك لأن ابن مسعود توفي سنة

اثنتين او ثلاثة وثلاثين ، قبل انقضاء خلافة عثمان بثلاث  
سنين .

ولا شك ان العمدة في مثل هذه الحالة على التاريخ .  
تاريخ مواليد الرواة ، واقامتهم ورحلاتهم ، وشيخوختهم ،  
وفاقتهم ، ولذلك كان علم الطبقات قائما بذاته علما لا يستغني  
عنه نقاد الحديث .

قال حفص بن غياث القاضي : اذا اهتمتم الشيخ  
فحاسبوه بالسنين ، يعني : سنه ، وسن من كتب عنه .  
وقال سفيان الثوري : لما استعمل الرواة الكذب  
استعملنا لهم التواريخ اه .  
ومن اعجب ما روي في ذلك ، هو ما يرويه ابو احمد  
ابن عدي الباحفظ عن الامام محمد بن اسماعيل البخاري  
صاحب الجامع الصحيح ، قال :

« سمعت عدة من مشايخ بغداد يقولون : ان محمد بن  
اسماعيل البخاري قدم بغداد ، فسمع به اصحاب الحديث ،  
فاجتمعوا وارادوا امتحان حفظه .

فعملوا الى مائة حديث فقلبوها متونها واسانيدها ،  
وجعلوا متن هذا الاسناد لاسناد آخر ، واسناد هذا المتن  
لتتن آخر ، ودفعوها الى عشر انفس لكل رجل عشرة احاديث  
وامر وهم اذا حضروا المجلس ان يلقوا ذلك على البخاري ،  
واخذدوا عليه الموعد للمجلس فحضرروا وحضر جماعة من  
الغرباء من اهل خراسان وغيرهم من البغداديين .

فَلَمَا اطْمَأَنَ الْمَجْلِسُ بِأَهْلِهِ، اتَّدَبَ رَجُلٌ مِّنْ الْعَشْرَةِ  
فَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيثٍ مِّنْ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ فَقَالَ الْبَخَارِيُّ :  
« لَا أَعْرِفُهُ » ٠

فَمَا زَالَ يَلْقَى عَلَيْهِ وَاحْدًا بَعْدَ وَاحْدًا حَتَّى فَرَغَ وَالْبَخَارِيُّ  
يَقُولُ :  
« لَا أَعْرِفُهُ » ٠

وَكَانَ الْعُلَمَاءُ مِنْ حَضْرَ الْمَجْلِسِ يَلْتَفِتُ بَعْضُهُمْ إِلَيْهِ  
بَعْضٌ وَيَقُولُونَ :  
« فَهُمُ الرَّجُلُ »

وَمَنْ كَانَ لَا يَدْرِي الْقَصْةَ، يَقْضِي عَلَى الْبَخَارِيِّ  
بِالْعَجْزِ وَالتَّقْصِيرِ وَقَلَةِ الْحَفْظِ ٠  
ثُمَّ اتَّدَبَ رَجُلٌ مِّنْ الْعَشْرَةِ إِيْضًا فَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيثٍ مِّنْ  
تِلْكَ الْأَحَادِيثِ الْمَقْلُوبَةِ ٠

فَقَالَ :  
« لَا أَعْرِفُهُ » ٠  
فَسَأَلَهُ عَنْ آخِرِ فَقَالَ :  
« لَا أَعْرِفُهُ » ٠  
فَمَا زَالَ يَلْقَى عَلَيْهِ وَاحْدًا وَاحْدًا حَتَّى فَرَغَ مِنْ عَشْرَتِهِ  
وَالْبَخَارِيُّ يَقُولُ :  
« لَا أَعْرِفُهُ » ٠  
ثُمَّ اتَّدَبَ الثَّالِثُ وَالرَّابِعُ إِلَى تِنَامِ الْعَشْرَةِ حَتَّى فَرَغُوا

كلهم من القاء تلك الاحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيد them  
على ان يقول :  
« لا أعرفه » .

فاما علم انهم قد فرغوا التفت الى الاول فقال : أما  
حديثك الاول فقلت كذا ، وصوابه كذا ، وحديثك الثاني  
كذا ، وصوابه كذا ، والثالث والرابع على الولاء حتى اتي  
على تمام العشرة ، فرد كل متن الى اسناده وكل اسناد الى  
متنه ، وفعل بالاخرين مثل ذلك .

فأقر الناس له بالحفظ ، واذعنوا له بالفضل .  
قال الحافظ بن حجر بعدما حكى هذه القصة قلت :  
« هنا يخضع للبخاري ، فما العجب من رده الخطأ الى  
الصواب ، فإنه كان حافظا ، بل العجب من حفظه للخطأ على  
ترتيب ما ألقوه عليه من مرة واحدة » .

ونختم هذا الفصل بقول الاستاذ العلامة الكبير  
الشيخ شibli النعmani : « لما ارادت الامم الاخرى من غير  
المسلمين ان تجمع في اطوار نهضتها اقوال رجالها وروایتهم  
كان قد فات عليهم زمن طويل ، وانقضى بينها وبينهم عهد  
بعيد ، فحاولوا كتابة شئون امة قد خلت ، ولم يتميزوا بين  
غث ذلك الماضي وسمينه ، وصحيحة وسقيمه ، بل لم  
يعلموا احوال رواة تلك الاخبار ولا اسماءهم ، ولا تواريخ  
ولادتهم .

فاكتفوا بأن اصطفوا من اخبار هؤلاء الرواة المجهولين  
وروایاتهم ما يوافق هواهم ، ويلائم بيئتهم ، وينطبق على  
مقاييسهم \*

ثم لم يمض غير زمن يسير حتى صارت تلك الغرافات  
الحالحقائق التاريخية المدونة في الكتب . وعلى هذا المنهج  
السيم صنفت اكثـر الكتب الادبية مما يتعلق بالامـم الخواـلي  
وشتـونها والاقوـام القديـمة واخـبارـها ، والاديـان السـالفة  
ومذاهـبـها ورـجالـها .

اما المسلمين فقد جعلوا لرواية الاخبار والسـير  
فوـاعدـ محـكـمةـ يـرجـعونـ اليـهاـ، واصـولاـ مـتقـنةـ يـتـمسـكونـ بهاـ  
أـولـهاـ : واعـلـاـهاـ الاـ تـروـىـ وـاقـعـةـ منـ الـوقـائـعـ الاـ عنـ  
الـذـيـ شـهـدـهاـ ، وـكـلـماـ بـعـدـ العـهـدـ عـلـىـ هـذـهـ الـوـاقـعـةـ فـمـنـ  
الـوـاجـبـ تـسـمـيـةـ مـنـ نـقـلـ خـبـرـهاـ عـنـ الـذـيـ شـهـدـهاـ ، ثـمـ تـسـمـيـةـ  
مـنـ تـقـلـ ذـلـكـ الـخـبـرـ عـنـ الـذـيـ نـفـلـهـ عـنـ شـهـدـهـ، وـهـكـذـاـ بـالـتـسـلـسلـ  
مـنـ وـقـتـ الـاـسـتـشـهـادـ بـالـوـاقـعـةـ وـالـتـحـدـثـ عـنـهاـ إـلـىـ زـمـنـ وـقـعـهـاـ  
وـالـشـبـتـ عـنـ اـمـانـهـ هـؤـلـاءـ الـرـوـاـةـ ، وـفـقـهـهـمـ وـعـدـالـتـهـمـ وـحـسـنـهـ  
تـحـلـلـهـ لـلـخـبـرـ الـذـيـ يـرـوـونـهـ \*

وـاـذـاـ كـانـواـ عـلـىـ خـلـافـ ذـلـكـ ، وـجـبـ تـبـيـنـهـ اـيـضـاـ .  
وـهـذـهـ الـمـهـمـةـ مـنـ اـشـقـ الـامـورـ ، وـمـعـ ذـلـكـ فـانـ مـئـاتـ  
مـنـ الـمـحـدـيـنـ تـنـرـغـواـ لـهـاـ ، وـوـقـفـواـ اـعـيـارـهـمـ عـلـىـ تـحـريـ ذـلـكـ  
وـاسـتـقـصـائـهـ وـتـدـوـيـتـهـ ، وـطـافـوـاـ لـاـجـلـهـ الـبـلـادـ ، وـرـحـلـوـاـ بـيـنـ

الاقطار ، باحثين دارسين لاحوال الرواة ، وكانوا يلقون  
المعاصرين لهم من الرواة لينقذوا احوالهم ٠

و اذا اطمأنوا الى سيرة فريق منهم سألوهم عما  
يعرفونه من احوال الطبقة التي كانت قبلهم ٠

وقد اجتمع من هذا المجهود العلمي العظيم علم مستقل  
من العلوم الاسلامية اطلق عليه فيما بعد عنوان ( اسماء  
الرجال ) فتيسر لمن اتى بعدهم ان ينقووا على اقدار مئات  
الالوف من الحفاظ والعلماء والرواة وغيرهم ٠

\* \* \*

## الفصل الرابع

# الوضاعون في العصر الحاضر

يقول الله تعالى :

« يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن  
تصيبوا قوما بجهالة ، فتتصبّحوا على ما فعلتم نادمين » .  
والفاسق هو الذي لا تتوافق فيه شروط العدالة ،  
ولقد وضع أئمتنا شروطا للعدالة ، نذكر منها ان :

من شرط العدل : ان يتتوافق فيه الصدق بمعناه الاعم  
الاشمل الذي يدخل فيه : عدم تزييف النص بزيادة  
او نقصان ، والذي يدخل فيه اولا ، وبالذات عدم الكذب  
في الرواية ، وعدم الكذب في الحديث العادي .  
ولا نريد هنا ان نستقصي ما قيل في العدالة ، وانما  
نريد ان ننقل بعض نصوص لترى ، فيما بعد ، تطبيقها على  
بعض المؤلفين الحديثيين .

انتا تبين دقة اسلافنا الدقيقة مما قاله الشعبي واقسم  
عليه ، وله مغزاه العميق في بيان مدى ما كان عليه اسلافنا ،  
رضي الله عنهم ، من تحر للصواب ، يقول الشعبي :  
« والله لو اصبت تسعا وتسعين مرة ، واحلطت مرة ،  
لعدوا علي تلك الواحدة » .

وكان اسلافنا يعتبرون الاعلان عن المكذابين وفضحهم والتشهير بهم من الدين ، يقول عبد الرحمن بن مهدي : سألت شعبة وابن المبارك والثوري ومالك بن انس عن الرجل يتهم بالكذب ، فقالوا :

« انشره فإنه دين » ٠

وعن يحيى بن سعيد قال : سألت سفيان الثوري ، وشعبة ، ومالكا وابن عيينة عن الرجل لا يكون ثبتا في الحديث فيأتيني الرجل فيسألني عنه ٠  
قالوا : اخبر عنه ، انه ليس بشتب ٠

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ٠ وهذا الذي يكذب على رسول الله فليتبوأ مقعده من النار : فاسق يجب التشهير به ، وهو فاسق قد سقطت عدالته ، ومن سقطت عدالته فإنه يجب على كل مؤمن أن لا يثق في حديثه ولا في رأيه ، او تنتائج بحثه . ومن ثبت عليه الكذب او الغش ، او الزريادة في النص ، او النقصان منه ، ليثبتت بالزيادة او النقصان وأياً يتفق مع هواه ، ومع نزعاته ، ان كل من يفعل ذلك فقد سقطت عدالته ٠

على ان من يزيد في النص او ينقص منه ، او يحرف فيه : يتعمد ذلك للحط من انسان او للنيل منه ، فإنه ، من الناحية الانسانية : قد تزل الى مرتبة تألف الانسانية .

السلبية منها ، وانحط الى درجة تنفر الفطرة الطاهرة منها .  
وبعد هذا نقول : انه نشأ في زمننا هذا طائفة من  
الناس يزعمون انهم من الباحثين على الاسلوب الحديث ،  
اسلوب النقد والتجميص ، والتثبت فيما يزعمون .  
وما من شك في ان اسلوب النقد والتجميص في  
الحديث وفي رواة الحديث اسلوب البحث العلمي بأدق ما  
يمكن ان تعبر عنه هذه الكلمة ، انا وجد حقا عند اسلافنا  
من المحدثين ، انهم هم اصحاب المنهج العلمي الدقيق في  
كتابة التاريخ ، انهم المخترعون له ، ولا يزالون لازما ادق  
من اتبعه ، وطبقه في صدق ، والمؤرخون المحدثون لم يصلوا  
بعد الى ما وصل اليه سادتنا المحدثون القدماء من الدقة  
العلمية .

ولان يريد ان تتعجل فنقول :  
ان هؤلاء الذين يزعمون في العصر الحاضر انهم قد  
تمحضوا للبحث العلمي : ليسوا من البحث العلمي في  
شيء ، ولنتريث قليلا حتى نطبق عليهم مقاييس اسلافنا في  
العدالة ، لنرى ما اذا كانوا اهلا للثقة ام ليسوا بآهل لها  
لقد كان اسلافنا يكتفون بثبتت الكذب مرة واحدة  
على شخص فيسقطونه من قائمة العدل ، فادا ثبت مثل ذلك  
على هؤلاء الكتاب المحدثين فانتا نسقطهم من طبقة العدول ،  
ونضعهم في قائمة الذين وصفتهم الله بالفسق ، حين قال  
فيهم :

« يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنينا فتبينوا ان  
تصيبوا قوما بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » .  
لقد اراد قوم — من نقلة البحث العلمي — التشكيك  
في السنة ، بل هدم السنة رأسا ، وهؤلاء تقودهم اهواء  
مختلفة :

ولننظر الان الى أي مدى يصل بهم تحريف الكلم عن  
مواضعه وتزييفه والكذب فيه ارضاء لنزعتهم الفاسدة :  
يقول المرحوم الاستاذ مصطفى السباعي في كتابه النفيسي :  
« السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي » : متحدثا عن  
الكذب والتحريف والبهتان الموجود في كتاب « أضواء على  
السنة » (١) .

١ — يقول في المامش رقم ٣ من صحيفة ١٦٢ من كتابه  
عن عبد الملك بن عمرو رضي الله عنه :  
وكان قد اصاب زامتين من كتب اهل الكتاب وكان  
يرويها للناس « عن النبي » ثم نسب هذا القول الى ابن  
حجر في فتح الباري ص ١٦٦ ج ١ وعبارته في الفتح ليس  
فيها « عن النبي » وانما زادها ابو رية ، ونسبها الى الحافظ  
ابن حجر : ليؤكد للقاريء الشك في احاديث صحابة رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ، الذين كان بعضهم يستمع الى  
مسلمه اهل الكتاب يتحدثون عن اخبار الامم الماضية ،

---

(١) أضواء على السنة للأستاذ محمود ابو رية

فمنهم من كان ينقلها عنهم على أنها قصص متعلق بالماضين  
ولكن ابارة كان يتهمهم بأنهم كانوا « ينسبونها »  
إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ١

ولم يكتف بذلك البهتان حتى نسبه إلى الحافظ بن  
حجر ، وهو لم يقله قط ، ولا يقوله مسلم يعرف ما كان عليه  
هذا الجيل الفذ في تاريخ الإنسانية من صدق اللهجة ،  
واستقامة الدين ، ووقف عند حدود الله فيما أمر وفيما نهى  
وهم يعلمون أن الله لعن الكاذبين ومقتهم ، وليس أقر لعيون  
اعداء الله والاسلام من أن يرموا بما دلّهم به أبو رية ٠

٢ — ونقل في ص ١١٥ عن ابن كثير في البداية والنهاية  
ص ٢٠٦ ج ٨ أن عمر ، رضي الله عنه قال لكتاب الأحبار :  
لتتركن الحديث « عن رسول الله » او لا تحرفك  
بأرض القردة ٠

وعبارة ابن كثير : لتتركن الحديث عن « الاول »  
وليس فيها عن رسول الله ولكن امانة أبي رية اجازت له  
تحريف هذا النص ليثبت ما ادعاه من أن كعباً كان يحدث  
عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وإن الصحابة كانوا  
يأخذون عنه الحديث ٠

وهذه الفرية نفسها المستشركون اليهود أمثال « جولد  
زيهر » ليدعوا تأثير اليهودية في الدين الاسلامي ، فتلقفهم  
منهم الحق العلمي أبو رية وتبرع لهم باثبات الادلة ٠

٣ - ونقل في ص ١٦٣ عن البداية والنهاية لابن كثير  
ص : ١٠٦ ح ٨ ان عمر رضي الله عنه ، هدد ابا هريرة بترك  
ال الحديث او ليلقينه بأرض دوس - او بأرض القردة .  
وهذه الزيادة « او بأرض القردة » من مقتنيات ابي  
رية على عمر وابن كثير معا . وانما قالها عمر لكتعب كما  
مر يهدده في ترك الحديث عن « الاول » أي الامم الماضية -  
كما نقل ذلك ابن كثير .

٤ - نقل ابو رية في عدة مواضع من بحثه عن ابي  
هريرة نصوصا في تكذيب عمر ، وعثمان وعلي وعائشة  
وغيرهم لابي هريرة ، ثم نسبها الى ابن قتيبة في « تأويل  
مختلف الحديث » .

وترجم ابو رية لابن قتيبة في هامش كتابه بأنه كان  
لأهل السنة كالجاحظ للمعتزلة في قوة البيان والحججة ،  
وقصده من ذلك تأكيد تضليل القارئ بأن رجلا كابن قتيبة  
له مكانته بين اهل السنة ، يطعن في ابي هريرة هذا الطعن .  
دليل على صحة ما يذهب اليه ابو رية من تكذيب ابي هريرة  
فيما يرويه عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

مع اذ ابن قتيبة ألف كتابه : « تأويل مختلف الحديث »  
للرد على من طعن في أئمة الحديث ، منذ عصر الصحابة حتى  
عصره ، وخبر انهم : هم رؤساء الاعتزاز كالنظام وامثاله  
وآخرين . ثم ساق ابن قتيبة شتائم النظام لابي بكر وعمر  
وعثمان وعلي وابن مسعود وابي هريرة وغيرهم من كبار

الصحابة ، ثم كر بالرد عليه وتفنيد ما قاله عن كل واحد من  
هؤلاء .

فأخذ ابو رية ما قاله النظام في ابي هريرة ونسبه الى  
ابن قتيبة ، وتعامى عن رد ابن قتيبة على النظام ، وهكذا  
تكون الامانة « الامانة العلمية » عند هذا المحقق العلمي .

٥ - ونقل في ص ١٩٥ عن المرحوم السيد رشيد رضا  
كلاما عن كعب ووہب بن منبه قال فيه

« وما يدرينا ان كل الروايات - او الموقوفة منها -  
ترجع اليها مع ان العبارة : وما يدرينا ان كل ( تلك )  
الروايات الخ فأسقط ابو رية كلمة « تلك » والتي اشار بها  
السيد رشيد - رحمه الله - الى مرويات كعب ووہب عن  
أهل الكتاب ، لتجيء العبارة موهمة بأن كل روايات الصحابة  
ترجع اليها . فانظر الى هذا الدس والتلاعيب في تقليل  
النصوص لتنفق مع اهوائه واغراضه

هذه امثلة لا مجال للمناقشة فيها تدل على تلاعيب في النصوص  
التي ينقلها ، ونسبتها الى غير قائلها .

واشهد اني لا اعلم احدا من اشد المستشرقين تعصبا  
ودسا ، بلغت جرأته في تحريف النصوص والتلاعيب فيها  
كما بلغت جرأة ابي رية ، فماذا تقول في هذا « العلامة

المحقق الامين ؟ »

ان مقاييس اسلافنا ، بل مقاييس البحث العلمي

الصحيح في كل عصر ، تسقط عدالة أبي رية ، وتنفيه عن دائرة الباحثين وتسحب الثقة منه كلياً ٠

لا ندرى لماذا يحاول بعض المسلمين أن يكونوا أبواً لاقاً للمستشرقين ، وللمستشرقين في الشرق صبيان معروفوون : إن لهم صبياناً مأجورين وإن لهم صبياناً ملاحظة ، وإن لهم صبياناً تابعين ومقلدين ٠

فلنتحدث إذن عن المستشرقين في صورة صريحة : من المعروف أن الاستشراق – في طائفة كبيرة منه – إنما هو امتداد للحروب الصليبية ٠

إن الغربيين يريدون بكل وسيلة القضاء على الإسلام ، كفوة لها ذاتيتها ، واصالتها ، ومنهجها في الحياة : وهم يستعملون من أجل ذلك كل الوسائل ٠

انهم يستعملون السلاح في قسوة قاسية ، وفي عنف عنيف حينما يمكنهم استعمال السلاح ، فإذا لم توافر لهم الظروف ، استعملوا أسلحة أخرى : منها الاستشراق ٠

وكتيراً ما يرافق الاستشراق المدفع والدبابة في الأقطار المستعمرة ، وهدف الاستشراق افساد ما يمكن افساده من الدين ، وبالتالي من الخلق ، وقد وضع – على مر الأيام – ان من خصائص الاستشراق انه :

١ – متأثر باليئة التي نشأ فيها المستشرقون : ولقد عبر عن هذه الحقيقة ابلغ تعبير احد الغربيين الذين كانوا

يريدون معرفة الحقيقة عن سيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فقرأ كتابا عنه بعدة لغات ثم قال :  
ان صورة نبي الاسلام صورة فرنسيه اذا كانت بقلم  
الفرنسيين ، وهي ألمانية اذا كانت بقلم الالمانيين ، وهي  
امريكيه اذا كانت بقلم الامريكيين ، وهي .. وهذا فيما  
يتعلق بالبيئة الاجتماعية

٢ - والاستشراق متاثر بالبيئة الدينية ، ومن الطبيعي الواضح انه اذا كان المستشرق مؤمنا بدينه : فانه يكتب عن الاسلام ، مؤمنا بأنه دين مزيف .

ولا ادرى كيف يغرب ذلك - مع بدايته - عن اذهان المسلمين الذين يقرءون الاسلاميات بقلم المستشرقين ، فيولونهم شيئا من الثقة ، او يولونهم كل الثقة حسب درجة استعداد القارئ للتقليد والمتابعة .

٣ - ومن المعروفإليقيني ان الاستشراق - في اغلبه - يسير في ركاب الاستعمار ، او في ركاب الكنيسة .  
ان ذلك ظاهر واضح لكل من قرأ تاريخ الاستشراق وصلته بالكنيسة والاستعمار .

ومن اجل ذلك لم يكن غريبا ان يزيف الاستشراق الحقائق . وهو ان لم يزيفها وطنية ، يزيفها تدينا وان لم يزيفها تدينا زيفها وطنية ، فان لم تقو الوطنية وحدتها او التدين وحده على حمل الاستشراك على التزييف، تختلف

التدین والوطنية معا فحملاه – متعاونين – على التزييف ،  
فريف تدینا ووطنیة .

انك لا تنتظر من قسيس يعيش في الكنيسة مثل :  
أزین بلاسيوس ، حينما يكتب عن الاسلام ، الا ممحانا  
وتشويها كما فعل ذلك حينما كتب كتابه المعروف بالعنوان  
الذی لا يتسم بأدب ولا مجاملة ، وهو «الاسلام المسيحي»  
اما القسيس لامنس فقد وهب نفسه لهدم الاسلام  
عقيدة ، ولهمد الاسلام تاريخا ، ولهمد الاسلام رجالا ،  
ولهمد الاسلام في كل ما يتعلق به .

ان المستشرقين القساوسة : عدد لا يحصى ، اما  
المستشرقون المستشارون في وزارات الخارجية الغربية ،  
وفي و ارات الداخلية الغربية وفي وزارات الدفاع والحربيه  
وفي وزارات الاعلام والدعایة : فانهم ايضا عدد لا يكاد  
يحصى .

ماذا تتظر من مستشرق هو مستشار في وزارة  
الدعایة ، او في وزارة الغربية ، او في وزارة الخارجية ؟ ان  
السداجة مهما وصلت درجتها لا يتأتى ان تولي ثقتها لمستشرق  
يأكل عيشه من سيره في رکاب الاستعمار ، او في رکاب  
الكنيسة .

٤ - طائفة من المستشرقين مستعدة ان تسهل في  
أي رکاب لانها تسير في رکاب الشیطان .  
تلك هي طائفة المستشرقين اليهود .

ان كتاب : بروتوكولات حكماء صهيون ، او كتاب « الخطر الصهيوني » يبين في وضوح ان اليهود قد آلسوا على انفسهم ان يفسدوا على الانسانية دينها وخلقها وثقافتها وقد مني الاسلام بطائفة من المستشرقين اليهود على درجة من الغبث والمكر والدهاء ، يعجب لها الشيطان نفسه .

أرأيت الى الذكاء الحاد الخبيث حينما يستعمله صاحبه  
جاها لا يفتر في اغراض شيطانية ، يريد بذلك ان يفسد  
على المسلمين منهم العليا في الفضيلة والخير ، وایمانهم  
الراسخ في الله وفي رسوله ؟

ان هذا الذكاء الحاد الخبيث الذي اخذ يعمل لا يفتر  
قد تركز في بضعة افراد من اليهود — كأختى ما يكون اليهود  
— على رأسهم جولد زيهير .

ولقد كان جولد زيهير حركة لا تفتر في الفساد  
والتشويه ، وساعدته مال اليهود ودعائهم ، فترجموا ونشروا  
أفكاره في كل مكان ، حتى لقد ترجمت كتبه الخبيثة الى  
اللغة العربية نفسها ، ونشرت في مختلف الاقطاع الاسلامية :  
تذيع الكذب في صورة البحث العلمي ، وتنشر التشويه في  
صورة الحقائق الثابتة ، وتدعو الى الشك فيما لا يتأتى  
فيه الشك ، واغترت به طائفة من المفروزين ، وظننت ان  
ابحاثه علمية ، وانه باحث متثبت وعالم يتحرى الحقائق .

والى هؤلاء ، والى كل من يثق بالمستشرقين لذكر

مثالين اثنين — من عشرات الامثلة — التي تعمد جولدزيهر ،  
ان يكذب ، وان يحرف الكلم عن مواضعه فيها ٠ وهذان  
المثالان انما هما نموذج لاعمال كثير من المستشرقين العلمية  
يقول المرحوم مصطفى السباعي :

« زعم جولد تسيهير ان الزهرى اعترف امته افاخطيرا  
في قوله الذي رواه عنه معمر :

« ان هؤلاء الامراء اكرهونا على كتابة احاديث » وان  
ذلك يفهم استعداد الزهرى لأن يكسو رغبات الحكومة  
باسمه المعترف به عند الامة الاسلامية ٠ قدمنا لك عند  
الحديث عن صدق الزهرى وجراحته ، أنه ابعد الناس عن  
الرضوخ لاهواء الحاكمين ، وذكرنا لك من الواقع بينه  
 وبين خلفاء بنى امية ، ما تجزم معه بأنه ليس ذلك الرجل  
المستعد لأن يكسو رغبات الحكومة باسمه المعترف به عند  
 المسلمين ٠

اما هذا النص الذي نقله فقيه تحريف بسيط يقلب  
المعنى رأسا على عقب ، واصله ، كما في ابن عساكر وابن  
 سعد :

ان الزهرى كان يمتنع عن كتابة الاحاديث للناس —  
ويظهر انه كان يفعل ذلك ليعتمدوا على ذاكرتهم ، ولا  
يتكلوا على الكتب ، — كما ذكرنا من قبل — فلما طلب منه  
 هشام واصر عليه ان ي ملي على ولده ليتحسن حفظه كما تقدم

وأملی عليه اربعمائة حديث ، خرج من عنده وقال باعلى صوته : « ايها الناس انا كنا منعناكم امرا قد بذلناه الان لهؤلاء ، وأن هؤلاء الامراء اكرهونا على كتابة «الاحاديث» فتعالوا حتى احدثكم بها ، فحدثهم بالاربعمائة «الحديث» هذا هو النص التاريخي لقول الزهرى ، وقد رواه الخطيب بلفظ آخر وهو :

كنا نكره كتاب العلم - أي كتابته ، حتى اكرهنا عليه هؤلاء الامراء ، فرأينا الا نمنعه احدا من المسلمين (١) .

فانظر كم الفرق بين ان يكون قول الزهرى ، كما روی جولدتسیهير « اكرهونا على كتابة احاديث » وبين ان يكون كما رواه المؤرخون: «أكرهونا على كتابة الاحاديث» او كما رواه الخطيب « على كتاب العلم ؟ » ، ثم انظر الى هذه الامانة العلمية حذف « ال » من « الاحاديث » فقلبت الفضيلة رذيلة .. حيث كان النص الاصلی يدل على امانة الزهرى واخلاصه في نشر العلم ، فلم يرض ان يبذل للامراء ما منعه عن عامة الناس الا ان يبذله للناس جميعا ، فاذالامانة هذا المستشرق تجعله ينسب للزهرى انه وضع للامراء احاديث اكرهوه عليها ، فأین هذا من ذاك ؟

اما ما نقله « جولد تسیهير » من قول وكيع عن زياد ابن عبد الله من انه كان مع شرفه في الحديث - كذا با ..

---

(١) تقييد العلم ص ١٠٧

فهذه احدى تحريرات هذا المستشرق الخبيث ، فأصل العبارة  
 كما وردت في التاريخ للإمام البخاري :  
 وقال ابن عقبة الدوسي عن وكيع : هو (أي زياد بن  
 عبد الله ) اشرف من اذ يكذب (١) .  
 فأنت ترى اذ وكيعاً ينفي عن زياد بن عبد الله الكذب  
 مطلقاً ، لا في الحديث فحسب ، وانه اشرف من اذ يكذب ،  
 فحرفها هذا المستشرق اليهودي الى : انه كان — مع شرفه  
 في الحديث — كذوباً . وهكذا تكون امامته هذا المستشرق ؟  
 ان المستشرقين واباعهم من الملاحدة والمؤجرون والمقدين  
 هم الوضاعون في العصر الحاضر .  
 ولكن الله سبحانه : قد هيأ للسنة تدوينا صحيحاً ،  
 وتسجيلاً متقناً ، ورجالاً كرسوا حياتهم لها ، يدافعون عنها  
 عصراً بعد عصر ، وينشرون ارياحها جيلاً بعد جيل مذيعين  
 وشارحين ، ناسرين وموضعين .  
 « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع  
 المحسنين » .

---

(١) القسم الاول ج ٢ ص ٣٢٩

## **فهرس الكتاب**

٣	<b>مراجع الكتاب</b>
٥	<b>مقدمة</b>
١٣	<b>الفصل الأول</b> <b>الرسول ﷺ و سنته الشريفة</b>
٣٥	<b>الفصل الثاني</b> <b>تدوين السنة</b>
٦١	<b>الفصل الثالث</b> <b>المحدثون في جهادهم</b>
٨٣	<b>الفصل الرابع</b> <b>الوضاعون في العصر الحاضر</b>









Bibliotheca Alexandrina



0402243

المكتبة العصرية  
للطباعة والنشر  
تلفون: ٨٢٦٥ - ٢٢٧٩٥٤  
بيروت - لبنان